مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

عني بتحقيقه

الدكتور عمر موسى باشا

أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

شهد بدر الدين الغزي فترة قلق في حياته خلال بعده وتشرده عن بلده ، ولم تمدّنا المصادر التي بين أيدينا بالعوامل الكامنة وراء هذا النفي ، وقد تبيَّن لنا أنه كان للوزير العثماني إياس باشا أكبر الفضل في هذه الفترة من الاستقرار والاطمئنان النفسي ، فأتاح له ذلك أن ينشئ رسائله ويسطّر مؤلفاته الكثيرة . يقول في خطبة رسالته المخطوطة (الزُّبدة في شرح القصيدة المسمّاة بالبردة)[1] : « شملتني منه عين العناية بالقبول ، وظفرت من جماله بغاية المأمول ، فانتعشت عند ذلك وطاب العيش ، وزال ما كنت أجد من قلق البعد والطيش ، وقلت مُغرّداً :

أمَلِكٌ أنتَ تُرَى أم مَلَك ؟ قد فازَ بالمقصودِ مَنْ أمَّلك

حرس الله ذاته الشريفة من كل سوء ببركة صاحب البردة »[2].

★ ★ ★

استمد المؤلف في رسالته (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة) بعض ما اطلع عليه من فضائل الآداب ومكارم الأخلاق ، بيد أن أهمية هذه

---

(١) أشار بروكلمان في شروح بردة البوصيري إلى هذا الشرح ، وأرشدنا إلى أربع نسخ منه موزعة في المكاتب والمتاحف الأوربية ، وهو موجود في هذا المجموع المخطوط ، وسوف نعمل على نشره ، إن شاء الله تعالى .

(٢) الغزي : الزبدة ، الورقة ٣١/ظ .

الرسالة بالذات ترجع إلى أنها تختلف عما كتب قبلها في الموضوع نفسه ، فهي بحق ثمرة الثقافة الإسلامية في عصر إحياء التراث العربي ، كما يدعوه الدكتور شوقي ضيف [١] ، أي عصور الدول المتتابعة كما اصطلحنا على تسميته .

استقى المؤلف أقواله ممّا ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف ، واستشهد ببعض الحكم المنقولة عن المتصوفة والفلاسفة ، وأورد بعض الشواهد الشعرية مما حفظه من شعر الشعراء السابقين ، أو ممّا سمعه من شعر الشعراء اللاحقين أو المحدثين أو المولدين ، بالإضافة إلى ما يرويه عن بعض الشعراء المغمورين الذين لم يورد ذكر أسمائهم .

ترجع أهمية هذه الرسالة أيضاً إلى هذا النهج القويم الذي سلكه المؤلف في اتباعه نسقاً علمياً ذاتياً في البحث والتأليف ، كما رأينا الأمر نفسه في رسالته السابقة (آداب المؤاكلة) [٢] ، وندر من القدماء من كان يُعنى بذلك في أسلوبه ، إذ إننا نعرف أن الاستطراد في الكتابة والتأليف ، والأخذ من كل فن بنصيب ، كانا حقاً من المميزات المعروفة في أدبنا القديم ، وسبب ذلك في اعتقادهم دفع السأم والملل عن نفس القارئ ، لاجتذاب الإقبال على ما يقرأ .

وترجع أهمية هذه الرسالة أيضاً إلى أنها كسابقتها لم يلتزم المؤلف فيها الأسلوب المسجّع المعروف ، ولا سيّما أننا في القرن العاشر الهجري ، في العصر المخضرم بين أواخر العصر المملوكي الثاني وأوائل العصر التركي العثماني .

نترك هذه الأمور المنهجية في تقويم الرسالة الغزية الثانية لنقرر باطمئنان أنها كانت مظهراً هاماً من مظاهر الآداب الاجتماعية في عصور الدول المتتابعة ، وما أجدرنا أن نتقيد بمثل هذه الآداب في وقت نشهد فيه حاجة

---

(١) انظر مجلة (المجلة) المصرية شباط ، العدد ١٢٢ ، سنة ١٩٦٧ .

(٢) نشر الرسالة المذكورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، سنة ١٩٦٧ .

المجتمعات الإنسانية في العالم كله إلى بعض هذه المثل التي كان آباؤنا وأجدادنا يحرصون عليها، وينشّئون عليها أبناءهم وأحفادهم. لقد أحصاها المؤلف، وبيّن لنا أنها سبيل كل موقن وطريق كل مؤمن، فمن اتبعها كان حقاً الإنسان المثاليّ الفاضل الذي يطمح إلى منتهى سدرة الفضيلة المقدسة.

لم تكن غاية المؤلف الإنسان وحده، وإنما كان يرجو عن طريق الفرد إصلاح المجتمع كله، وهل صلح المجتمع في يوم ما إلا إذا صلح أفراده؟ لقد كان يتوخى إذاً إصلاح المجتمع كاملاً، فبدأ بالفرد لينتهي إلى الأسرة، ثم ليضع لنا شرائط المجتمع الأفضل والمستقبل الأمثل.

هكذا كان مؤلفنا الغزي في رسالتيه معــاً يهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع معاً، فآداب المؤاكلة في الرسالة السابقة صورة عن بعض آداب المجتمع الخاص، وهي مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية عامة، وإن كانت تدور حول أحوال بعض الأفراد من ذوي العيوب الخاصة [1]، وأظن أن المؤلف أحاط بها إحاطة لا يسلم منها إنسان مهما حاول أن يتجنبها، وقلت من قبل: إننا قلّ أن نجد في آداب الأمم الأخرى نظير هاتيك الرسالة.

وآداب العشرة، وواجبات الصحبة، ومواثيق الأخوة، كما رأيناها، صورة ثانية أعمّ وأشمل من سابقتها عن آداب المجتمع الكبير الأمثل؛ ولقد استطاع المؤلف أن يبرز لنا فيها الأفكار والتجارب الإنسانية،

---

(١) قال الغزي في مقدمة رسالته المذكورة: « هذه جملة من العيوب التي من علمها كان خبيراً بآداب المؤاكلة، وعدتها أحد وثمانون عيباً » ص ٦؛ وقال في ختامها « وهذا آخر ما حضرنا في ذلك من معايب الأكل، فالعاقل يجتنب ذلك طاقته » ص ٤٦.

فيعرض لنا مختلف الآراء لبيان الحال التي يجب أن يكون عليها الناس في علاقاتهم العامة ووشائجهم الخاصة ، بالإضافة إلى آرائه الذاتية المنثورة هنا وهناك ، وقد كانت ثمرة الاطلاع وهبة الحياة الاجتماعية .

هاتان رسالتان من آداب عصور الدول المتتابعة نضعها بين أيدي الباحثين الذين يُعنون بدراسة العصور المذكورة ، وغايتي من إحياء هذه الرسائل المهملة والأسفار المخطوطة أن أكشف عن هذه الجوانب من حضارتنا السالفة التي شاء لها الزمن فيما مضى أن تبقى غريبةً في وطنها ، وهي درة ثمينة في تاج حضارتنا الخالدة ، ومن الظلم الكبير أن نجد هذه الصفحات من آدابنا مهملة قابعة في زوايا النسيان وظلمات الإهمال ، تندب مع الأيام حظها العاثر ، وقد غشّاها غبار كر السنين وتطاول الحدثان .

تؤلف الرسالة المذكورة الكتاب الثالث المختار من المجموع المخطوط الموجود في حوزتي وهو يضم عشرين رسالة مخطوطة ، وتبدأ من ظهر الورقة السابعة حتى وجه الورقة الحادية والعشرين ، والخط واضح مقروء ، استخدم الناسخ اللون الأحمر في كتابة أوائل الشواهد المنقولة المقتبسة ، وأوائل الفقرات الجديدة من الرسالة .

ذيل الناسخ هذه الرسالة بقوله على عادته في هذا المجموع بعد الانتهاء :
« تمت الرسالة المباركة نهار الثلاثاء بعد العصر ، ثالث عشر جمادى الآخرة ، من شهور سنة سبع عشرة وألفين » ، وكتب أحد مالكي هذا المجموع في عرض هذا التذييل : « قد وصل في ملك الفقير الفاني ، الراجي عفو الديان ، السيد محمد قاسم كيلاني[1] ابن المرحوم حسني أفندي » .

---

(١) في الأصل : (كيلا) ، والمرجح ما صوّبناه وأثبتناه انسجاماً مع فاصلتي السجعتين السابقتين .

وبعد ، فهذه رسالة (آداب العشرة) بعد (آداب المؤاكلة) أضعها بين أيدي الناس ، فلعلها تكون نبراساً يقوّم أخلاقهم ، كما شاء مصنفها ذلك ، ويبعد عنهم المعايب والمثالب ، وما أحوج أمتنا إلى التمسك بمثل هـــذه الآداب الرفيعة في حياتنا الاجتماعية وأخلاقنا الخاصة .

ولا بد لي ، وأنا في ختام هذه المقدمة ، من أن أنوّه بفضل مجمع اللغة العربية الزاهر على ما يقدمه من جهود جبارة لنشر هذا التراث العربي الأصيل مشرقاً ومغرباً منذ أكثر من نصف قرن من الزمن ، في مختلف البيئات الثقافية العالمية التي تُعنى بالدراسات العربية والشرقية .

يبقى عليَّ ، وفاء للحقيقة ، أن أشكر هؤلاء العاملين بصمت وأناة ، وأخص بالذكر رئيس المجمع الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي ، وأمينه الأستاذ الأمير جعفر الحسني اللذين لقيت منهما أوفى التأييـــد والتشجيع ، وأقصى العون والتوجيه .

والله تعالى أسأل أن يكون عملي المتواضع خالصاً لوجهه الكريم ، ﴿ وقل : اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

دمشق

الجمعة ٥ نيسان ١٩٦٨
٧ محرم ١٣٨٨

عمر موسى باشا

آداب العشرة

وذكر الصحبة والاخوة
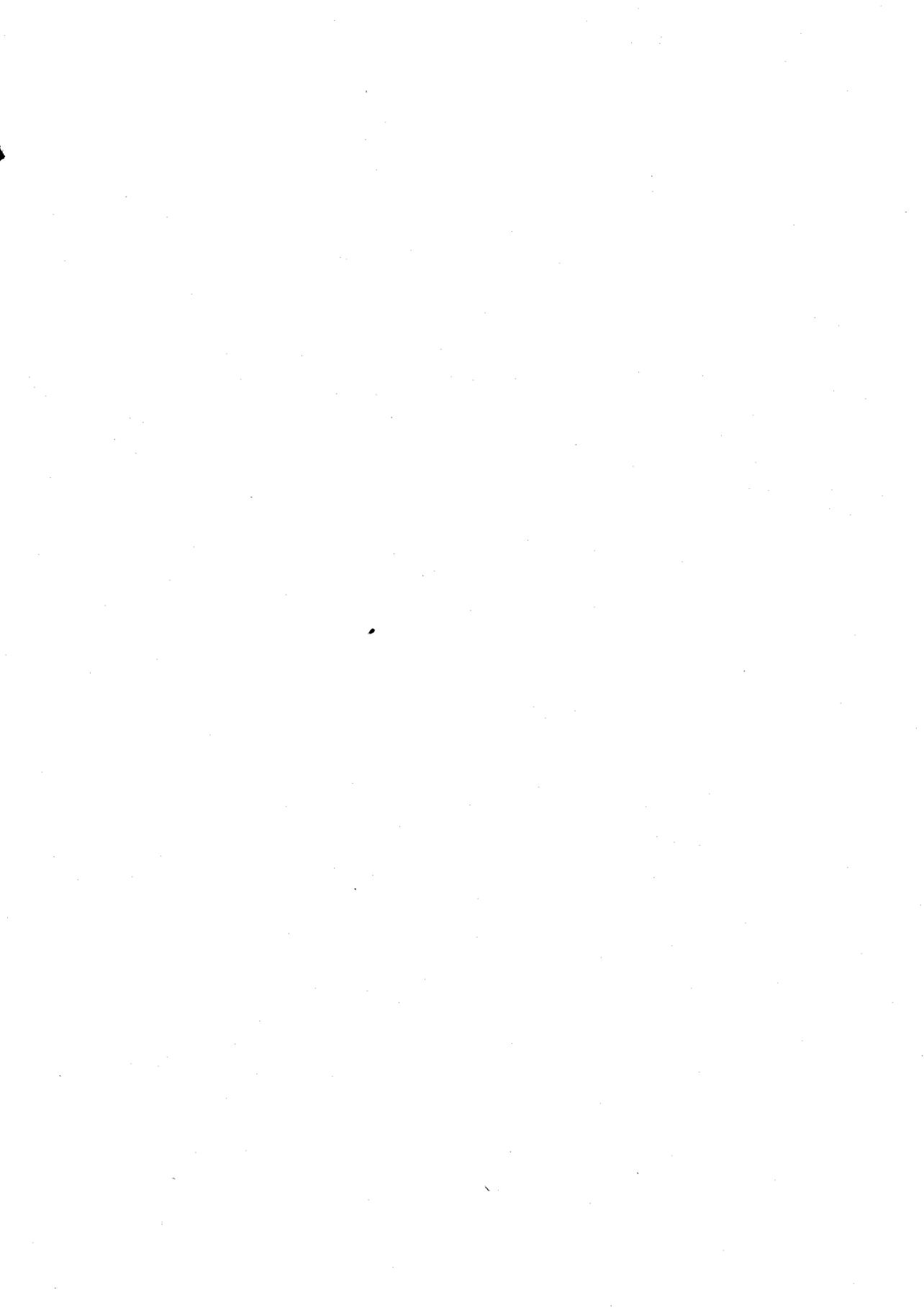
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي أكرمَ خواصَّ عبادِهِ بالألفةِ في الدينِ ، ووفّقهم (ق٧/ظ) لإكرامِ عبادِهِ المُخلصينَ ، وزيّنهم بالأخلاقِ الكريمةِ والشِّيمِ الرَّضيّةِ ، تأدُّباً بأفضلِ البشريّةِ ، وسيّدِ الأمّةِ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ عبدِ المطّلبِ ، ﷺ .

اعلمْ ، أيُّها الأخُ الصّالحُ ، أصلحَ اللهُ شأننا ، أنَّ لأدبِ الصُّحبةِ وحُسْنِ العِشْرَةِ أوجهاً ، وأنا مُبيِّنٌ مِنْها ما يدلُّ العاقلَ على أخلاقِ المؤمنينَ وآدابِ الصالحينَ ، ويعلمُ أنَّ اللهَ ، سُبحانَهُ وتعالى ، جعلَ بعضَهُمْ لبعضٍ رَحْمَةً وعَوْناً ، ولذلك قالَ رسولُ اللهِ ، ﷺ : « مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهِمْ[1] وتراحِمِهِمْ كمثلِ الجَسَدِ ، إذا اشتكى منه

---

(١) التوادّ : التحابّ ، ونودّده اجتلب ودّه ، وتودّد إليه تحبب .

عُضوٌ تَداعى سائِرُهُ بالحُمّى والسَّهرِ (١) » ؛ وقالَ ، عليهِ السَّلامُ : « المُؤمنُ للمُؤمنِ كالبُنيانِ المرصوصِ يشدُّ بعضُه بعضاً » ؛ وقالَ ، عليــهِ السّلامُ : / « الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ ، ما تعارفَ (ق٨/و) مِنْها ائتلفَ ، وما تَناكرَ مِنها اختلفَ » ؛ وقالَ ، عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « إنَّ الأرواحَ تلاقى في الهوى فتشامُ ، فما تعارفَ مِنها ائتلفَ ، وما تناكرَ مِنْها اختلفَ » . فإذا أرادَ اللهُ بعَبْدٍ خيْراً وفَّقَهُ لمُعاشرةِ أهلِ السُّنّةِ والصَّلاحِ والدِّينِ ، ونَزَّهَهُ عن صُحبةِ أَهلِ الأهواءِ والبِدَعِ المخالفينَ . وقالَ عليهِ السَّلامُ : « المرءُ على دينِ خليلِهِ (٢) ، فليَنْظُرْ أَحدُكُمْ (٣) مَنْ يُخالِلُ » . ولبعضِهِمْ (٤) :

عنِ المَرْءِ لاَتَسْأَلْ (٥) وَسَلْ عن قرينِهِ ... فكلُّ قرينٍ بالمُقارنِ يقْتَدِي (٦)

---

(١) وفي رواية ثانية : (بالسهر والحمّى) .

(٢) وفي رواية ثانية : (المرء بخليله) .

(٣) وفي رواية ثانية : (امرؤ) .

(٤) القائل هو الشاعر الجاهلي عديّ بن زيد ، وهذا البيت أحد الأبيات السبعة التي اختارها صاحب مجموعة المعاني في المعنى الرابع من الآداب والحكم . ص ١٤ ، ١٥ .

(٥) في الأصل : (لا تسل) ، وقد أثبتنا رواية مجموعة المعاني .

(٦) في الأصل : (يقتد) ، وفي رواية مجموعة المعاني (مقتد) .

ومِنْ كلامِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ، كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، ورَضيَ عنه :

ولا تَصْحَبْ[١] أخا الجَهْلِ   وإياكَ[٢] وإيّــاهُ

فكمْ منْ جاهلٍ أرْدَى   حَليماً[٣] حينَ يلقــاهُ

يَقاسُ[٤] المرءُ بالمرءِ   إذا ما هو[٥] ماشــاهُ

وللشَّيءِ[٦] على الشيءِ   مقاييسٌ وأشــباهُ

وللقَلْبِ على القَلْبِ   دليــلٌ حينَ يلقــاهُ

★ ★ ★

---

(١) في الأصل : (لا تصحب) ، والأبيات المذكورة واردة في الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب ، وقد وردت الأبيات أيضاً في كتــاب (الموشّى أو الظرف والظرفاء) ، ص ١٧ ، لمؤلفه أبي الطيب محمد بن إسحق ابن يحيى الوشاء المتوفى في أوائل القرن الرابع الهجري ، وقد عاش في النصف الأخير من القرن الثالث ، حقق الكتاب المذكور الأستاذ كمال مصطفى ، وطبع مرتين في القاهرة ، آخرها سنة ١٩٥٣ م — ١٣٧٢ هـ بمطبعة الاعتماد .

(٢) في الأصل : (وإياك إياه) ، وقد ألحقنا الواو بـ (إياه) الثانية لسلامة الوزن .

(٣) في الأصل : (حكيماً) وقد أثبتنا رواية الموشى .

(٤) في الأصل : (قياس) وقد أثبتنا رواية الموشى .

(٥) في الموشى : (ما المرء) .

(٦) في الموشى : (من) .

آداب العشرة

فَمِنْ (آدابِ العِشْرةِ) :

[حُسْنُ الخُلُقِ]

حُسْنُ الخُلُقِ مَعَ الإخوانِ والأقرانِ [1] والأصحابِ ، اقتداء برسولِ اللهِ ، ﷺ ؛ فإنَّهُ قال، وقد قيلَ له : ما خيرُ ما أُعطِيَ المرء ؟ قالَ : « حُسْنُ الخُلُقِ » .

[تحسينُ العيوبِ]

ومِنْها تحسينُ ما يعاينهُ من عيوب أصحابِهِ ؛ فقد قالَ ابنُ مازنٍ : « المؤمنُ يطلبُ معاذيرَ إخوانِهِ ، والمنافقُ يَطْلُبُ عَثَراتِهِمْ » ، وقالَ حَمْدونُ القصَّارُ : « إذا زَلَّ أخٌ مِنْ إخوانِكَ ، [2] فاطلُبْ لهُ تسعينَ عُذْراً ، فإنْ لم يَقْبَلْ ذلكَ فأنتَ المعيبُ » .

(١) الأقران : جمع القِرن بكسر القاف ، وهو الكفء والنظير في الشجاعة والحرب .

(٢) في الأصل : (إخواني) ، والصواب ما أثبتناه لمناسبة قرينة الكلام .

[معاشرةُ المؤمنِ]

ومِنْها مُعاشرةُ الموثوقِ بدينِهِ وأمانتِهِ ظاهِراً وباطناً . قال اللهُ تعالى : ﴿ لا تجدُ قوماً يؤمنونَ باللهِ واليوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ﴾[1] الآيةُ .

[أوجهُ المعاشرةِ]

وللمُعاشرةِ أوجهٌ :

فللمْشايخِ والأكابرِ : بالحُرْمةِ والخِدْمةِ / والقيامِ بأشغالِهمْ . (ق٨/ظ)

ولِلأقرانِ والأوساطِ : بالنَّصيحةِ وبَذْلِ الموجودِ والكونِ[2] عندَ الأحكامِ ، ما لم يكنْ إثماً .

وللمُريدينَ[3] والأصاغرِ : بالإرشادِ والتأدُّبِ والحَمْلِ على ما يُوجِبُهُ العِلْمَ ، وآدابُ السُّنَّةِ ، وأحكامُ البواطنِ ، والهدايةُ إلى تقويمِها بحُسْنِ الأدبِ .

---

(١) سورة المجادلة ٥٨/٢٢ .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها (السكون) أو (الركون) .

(٣) المريد لفظ استخدمه المتصوفة للدلالة على جماعة من فقرائهم ، وقد تحدث تاج الدين السبكي عن تربية المريد في حديثه عن واجبات شيخ الخانقاه . (انظر كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص ١٢٤) .

[الصفحُ عن العثرَات]

ومِنْها الصَّفحُ عن عَثَراتِ الإخوانِ ، وتَرْكُ تأنيبِهِمْ عليها . قالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ [(١)] : « الفُتوَّةُ الصَّفحُ عن عَثَراتِ الإخوان » ؛ فكما يجبُ على العبدِ الأدبُ مَعَ سيِّدِه ، يجبُ عليهِ معاشرةُ مَنْ يُعينُهُ عليهِ . قالَ بعضُ الحكماءِ : « المؤمنُ طبعاً وسجيَّةً » [(٢)] ، وقالَ ابنُ الأعرابيِّ [(٣)] : « تناسَ مساوئَ [(٤)] الاخوانِ يَدُمْ [(٥)] لكَ وُدُّهُمْ » ؛ وواجبٌ على المُؤْمنِ [أن] [(٦)] يجانبَ طُلاَّبَ الدُّنيا ،

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، أبو علي التميمي اليربوعي ، ولد بخراسان بكورة أبيورد ، وقدم الكوفة وهو كبير ، فسمع الحديث ، ثم تعبد ، وتوجه إلى مكة ، وأقام بها حتى وفاته سنة ١٨٧ هـ (ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٢١ — ١٢٣) .

(٢) كذا في الأصل ، ويبدو أن هناك سقطاً في هذا القول .

(٣) هو أبو الحسن بن الأعرابي من أهل الكوفة ، وكان فاضلاً مقدماً في صناعته ، ويعرف بالشيباني ، وله من الكتب كتاب (المسائل والاختيارات) (ابن النديم : الفهرست ، ص ٤٠٢) .

(٤) في الأصل : (مساو) ، واحدتها مساءة ومساية بتخفيف الهمز كما أشار اللسان إلى ذلك .

(٥) في الأصل : (يدوم) ، وجواب الطلب يقتضي جزم الفعل .

(٦) زيادة غير موجودة في الأصل ، وهذا سهو يقع فيه النساخ عند تكرار الحروف أو الكلمات لسبق الطرف .

فإنَّهمْ يَدلُّونَهُ على طَلَبِها ومَنْعِها، وذلك يُبْعِدُهُ عن نجاتِهِ ويَقظَتِهِ عَنْها، ويَجْتَهِدَ في عِشْرَةِ أهلِ الخيرِ وطُلاَّبِ الآخرةِ؛ ولذلكَ قالَ ذو[1] النُّونِ[2] لِمَنْ أوصاهُ: «عليكَ بصُحبةِ مَنْ تَسْلَمُ مِنْه في ظاهِرِكَ، وتُعينُكَ رؤيتُهُ على الخيرِ، ويُذكِّرُكَ مولاكَ».

[موافقةُ الإخوانِ]

ومِنْها قِلَّةُ الخِلافِ للإخوانِ، ولزومُ موافقتِهِمْ فيما يُبيحُهُ العِلْمُ والشَّريعةُ. قالَ أبو عثمانَ: «مُوافَقَةُ الإخوانِ خيرٌ مِنَ الشَّفَقَةِ عليهِمْ».

[الحَمْدُ على الثَّناء]

ومِنْها أنْ يَحْمَدَهُمْ على حُسْنِ ثنائِهِمْ، وإنْ لم يُساعِدْهُمْ باليَدِ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «نيَّةُ المؤمنِ أبلغُ مِنْ عملِهِ». قال عليٌّ، كرَّمَ اللهُ وجهَهُ: «مَنْ لم / يَحمِلْ أخاهُ على حُسْنِ النِّيَّةِ، لم يَحْمَدْهُ على حُسْنِ الصَّنعةِ». (ق٩/و)

---

(١) في الأصل: (ذا).

(٢) ذو النون المصري الزاهد العابد المشهور، واسمه ثوبان بن إبراهيم، وكان أبوه نوبياً، وهو من أئمة المتصوفة الأوائل، وأول من تكلم في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية. توفي في مصر سنة ٢٤٥ هـ. (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢ ص ٣٢٠، ٣٢١).

[تركُ الحَسَدِ]

ومِنْها ألاّ يَحْسُدَهُمْ على ما يَرَى[١] عليهمْ مِنْ آثارِ نِعمةِ اللهِ، بل يَفْرَحُ بذلكَ، ويَحْمَدُ اللهَ على ذلكَ كما يَحْمَدُهُ إذا كانتْ عليهِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى ذمَّ [الحاسدين][٢] على ذلكَ بقولِهِ: ﴿ أمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ على ما آتاهمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٣]، وقالَ، عليهِ السّلامُ: « كادَ الحَسَدُ أنْ يَغْلِبَ القَدَرَ »، وقالَ: « لا تَحاسَدُوا »[٤].

---

(١) في الأصل (ما لا يرى) ولعل (لا) زائدة، فيستقيم المعنى بحذفها.

(٢) زيادة غير موجودة في الأصل، وهذا السقط من سهو الناسخ، لأن فعل ذم يتعدى إلى مفعول.

(٣) سورة النساء ٤/٥٤.

(٤) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبعْ بعضُكم على بيع بعضٍ، وكونوا عبادَ الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ها هنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات) بحَسبِ امرئٍ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم.

[عدمُ المواجهةِ بما يكرهُ]

ومِنْها ألاّ يُواجِهَهُمْ بما يَكْرَهونَ ، فإنّ رسولَ اللهِ ، ﷺ ، نَهى عنْ ذلكَ .

[ملازمةُ الحياء]

ومنها مُلازمةُ الحياءِ في كلِّ حالٍ ، لقولِهِ ، عليهِ السّلامُ : « الإيمانُ بضعةٌ وسبعونَ - أو وستونَ - باباً ، أفضلُها شهادةُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطّريقِ ، والحياءُ شعبةٌ مِن الإيمانِ » ، وقالَ رجلٌ للنبيِّ ، عليهِ السّلامُ : « أوصِني » ، قال : « استَحْيِ مِنَ اللهِ ، عزَّ وجلَّ ، كما تستحيي رجلاً مِنْ صالحِ قومِكَ » ، وقالَ : « الحياءُ مِن الإيمانِ ، والإيمانُ في الجنّةِ ، والبَذاءُ[1] مِنَ الجَفاءِ ، والجَفاءُ في النّارِ » .

[المروءةُ والمحبّةُ]

ومِنَ المعاشرةِ صِدقُ المُروءةِ وصفاءُ المحبّةِ ، فإنّها لا تَتِمُّ إلاّ بِهِما[2] .

---

(١) البذاء : الفحش في القول كالمباذأة وهي المفاحشة .

(٢) في الأصل : (بها) ، ولعله من سهو الناسخ .

[إظهارُ الفَرحِ والبَشاشةِ]

ومِنْها بَشاشةُ الوجهِ ، ولُطْفُ اللِّسانِ ، وسَعَةُ القلبِ ، وبَسْطُ اليَدِ ، وكَظْمُ الغَيظِ ، وتَرْكُ الكِبْرِ ، ومُلازَمةُ الحُرْمَةِ ، وإظهارُ الفَرَحِ بما رُزِقَ مِنْ عِشْرَتِهِمْ وأُخُوَّتِهِمْ .

[صحبةُ العالِمِ العاقلِ]

ومِنْها ألّا يَصْحَبَ إلّا عالِماً ، أو عاقلاً فقيهاً حليماً . قالَ ذو النُّونِ ، رَحْمَةُ اللهِ عليهِ : « ما خَلَعَ اللهُ على عبدٍ مِنْ عبيدِهِ خِلْعَةً أحسنَ مِنَ العقلِ ، ولا قَلَّدَهُ قِلادةً أجملَ مِنَ العِلْمِ ، ولا زَيَّنَهُ بزينةٍ / أفضلَ مِنَ الحِلْمِ ، وكمالُ ذلكَ التَّقوى » ، وقالَ (ق٩/ظ) عليهِ السَّلامُ : « مِنْ سعادةِ المرءِ أنْ يكونَ إخوانُهُ صالحينَ » .

[سلامةُ القلبِ وإسداءُ النصيحةِ]

ومِنْها سلامةُ قلبِهِ للإخوانِ ، والنصيحةُ لهمْ ، وقبولُها مِنْهم ، لِقولِهِ تعالى : ﴿ إلّا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ ﴾ (١) وقالَ السَّقطيُّ (٢) ،

---

(١) سورة الشعراء ٢٦/٨٩ .

(٢) هو أبو الحسن ، سريٌّ بن المغلس السقطي ، وهو خال الجنيد وأستاذه ، توفي سنة ٢٥١ هـ .

رحمَهُ اللهُ : « مِنْ أجلِّ أخلاقِ الأبرارِ سلامةُ الصَّدرِ للإخوانِ والنَّصيحةُ لهمْ » .

[حِنْثُ الوَعْدِ]

ومِنْها ألّا يعِدَهُمْ ويُخالِفَهُمْ ، فإنَّه نِفاقٌ . قالَ ، عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ : « علامةُ المُنافِقِ ثلاثٌ : إذا حدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وعدَ أخلفَ ، وإذا ائْتُمِنَ خانَ » ، وقال الثَّوْري [1] ، رَحِمَهُ اللهُ : « لا تَعِدْ أخاكَ وتُخْلِفَهُ فتعودَ المحبَّةُ بِغْضَةً » ؛ وأَنشدُوا :

يا واعداً أخلفَ في وعْدِهِ ما الخُلْفُ مِنْ سيرةِ أهلِ الوَفا
ما كانَ ما أظهرْتَ مِن وُدِّنا إلّا سِراجاً لاحَ [2] ثم انطَفا [3]

---

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ولد سنة ٩٧ هـ ، وهو من فقهاء أصحاب الحديث ، وقد توفي بالبصرة مستتراً من السلطان سنة ١٦١ هـ ، وأوصى إلى عمار بن سيف في كتبه فمحاها وأحرقها ، ولم يعقب . وله من الكتب (الجامع الكبير) يجري مجرى الحديث ، وكتاب (الجامع الصغير) وكتاب (الفرائض) وكتاب (رسالة إلى عباد بن عباد الأرسوفي) (ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ؛ وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٣٩) .

(٢) لاح البرق : أومض .

(٣) أي انطفأ ، وخفف الهمز لضرورة شعرية .

[صُحبةُ الوَقورِ]

ومِنْها صُحْبَةُ مَنْ يُستَحْيا مِنْهُ ليَزْجُرَهُ ذلك عن المخالفاتِ ؛ فقد قالَ عليٌّ ، كرَّمَ اللهُ وجهَــهُ : « أحيُوا الحياءَ بمجالسةِ مَنْ يُسْتَحْيا منهُ » ، وقالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ ، رحمَهُ اللهُ : « ما أوْقعني في بَليّةٍ إلّا صُحبةُ مَنْ لا أحْتَشِمُهُ » .

[الإخلاصُ في الصُّحبةِ]

ومنها أنْ يُراعيَ في صُحبةِ إخوانِهِ صلاحَهُمْ لا مُرادَهُمْ ودلالتَه على رُشْدِهِمْ لا على ما يحبُّونَهُ . قال أبوصالحٍ المِزّيّ ، رحمهُ اللهُ : « المؤمنُ مَنْ يُعاشِرُكَ بالمعروف ، ويَدلُّكَ على صلاحِ دينكَ ودُنياكَ ، والمُنافِقُ [مَنْ][1] يعاشِرُكَ بالمذاعةِ[2] ، ويدلُّكَ على ما تَشْتَهيهِ ، والمعصومُ مَنْ فرّقَ بينَ الحالينِ » .

---

(١) زيادة غير موجودة ، وقد أسقطها الناسخ ، ويقتضيها سياق الكلام .

(٢) في الأصل : (بالمادعة) بالدال المهملة ، والصواب بالذال المعجمة ؛ ومعنى المذع التملق والكذب وإفشاء السر ، ورجل مذّاع أي كذّاب لا وفاء له ، ولا يحفظ أحــــداً بالغيب ، ومن لا يكتم السر والذي يدور ولا يثبت .

[تَرْكُ الأذَى]

ومِنها ألّا تُؤذيَ مُؤْمِناً ، ولا تُجاهِلَ[١] جاهلاً : لقولِهِ عليه السَّلامُ : « إنَّ اللهَ / يكرهُ أذَى المؤمنِ » ، وقالَ الرَّبيعُ (ق١٠/و) ابنُ خيثمٍ ، رحمَهُ اللهُ : « النّاسُ رجلانِ ، مؤمنٌ فلا تُؤذِهِ[٢] ، وجاهلٌ فلا تُجاهِلْهُ » .

[حُسْنُ العِشْرةِ]

ومِنها مُطالبةُ الإخوانِ بحُسْنِ العِشْرةِ حَسْبَ ما يُعاشرُهُمْ بِهِ ؛ لقولِهِ ، عليهِ السَّلامُ : « لا يُؤمنُ عبدٌ[٣] حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِهِ » . قال الحكيمُ : « صَفْوَةُ العِشْرةِ للخَلْقِ ، رِضاكَ عنهمْ بِمِثْلِ ما تُعاشِرُهُمْ بهِ » ، وقَال أبو بكرِ بنُ عيّاشٍ ، رحمَهُ اللهُ : « اطْبِ الفضلَ بالإفضالِ مِنكَ ، فإنَّ الصنيعةَ[٤] إليكَ كالصَّنيعةِ مِنْكَ » .

---

(١) جاهله : أي سافهه .

(٢) في الأصل : (فلا تؤذيه) .

(٣) في رواية مسلم والبخاري : (أحدكم) .

(٤) الصنيعة والصنيع : الإحسان .

[رأيُ عُمرَ في المودّةِ]

ومِنها قولُ عُمَرَ بنِ الخطّابِ ، رَضِيَ اللهُ عنهُ : « ثلاثٌ يُصفِينَ لكَ وُدَّ أخيكَ[1] : أنْ تُسلِّمَ عليهِ إذا لقيتَهُ ، وتُوسعَ لهُ في المجلسِ ، وتدعوَهُ بأحبِّ أسمائِهِ[2] إليهِ »[3] .

[حسنُ الظنِّ]

ومِنها حَمْلُ كلامِ الإخوانِ على أحْسَنِ الوُجوهِ ما وَجدْتَ ذلكَ . قالَ سعيدُ بنُ المُسيّبِ ، رَضِيَ اللهُ عنهُ : « كتَبَ إليَّ بعضُ إخواني مِن الصّحابةِ أنْ : ضَعْ أمْرَ أخيكَ على الأحسنِ ما لم تغلبْ » .

---

(١) رواية الكامل : (يثبتن لك الودّ في صدر أخيك) .

(٢) رواية الكامل : (الأسماء) .

(٣) ورد هذا القول في كتاب الكامل ، وتمام قوله بعد ذلك : « كفى بالمرء غياً أن تكون خلّة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتي مثله ، أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه » . (المبرد : الكامل ، ج ١ ص ٦٤) .

وقال ابن عباس أيضاً في ذات المعنى : « لجليسي عليّ ثلاث : أن أرميه بطرفي إذا أقبل ، وأُوسّع له إذا جلس ، وأُصغي إليه إذا حدث » . (المبرد : الكامل ، ج ١ ص ١٧٧) .

[معرفةُ أسماء الإخوان وأنسابِهم]

ومِنها معرفةُ اسمِ الإخوانِ واسمِ آبائِهمْ لئــلا تُقصِّرَ في حُقوقِهمْ؛ فقدقالَ ابنُ عُمرَ، رضيَ اللهُ عنهما: «رآني النبيُّ، ﷺ، ألْتَفِتُ، فقال: إلامَ(١) تَلْتَفِتُ؟ قلتُ: إلى أخٍ لي أنا في انتظارِهِ، فقالَ رسولُ اللهِ، ﷺ: إذا أحببتَ رجلاً فسَلْهُ عن اسمِهِ، واسمِ أبيهِ وجَدِّهِ وعشيرتِه ومنزِلِهِ، فإنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وإنْ استعانَ بكَ أعَنتَهُ».

[مجانبةُ الحقدِ]

ومنها مُجانبةُ الحِقْدِ، ولزومُ الصَّفْحِ، والعفوُ عن الإخوانِ. قال هلالُ بنُ العلاء: «جَعَلْتُ على نفسي ألاّ أكافئَ أحداً بِشَرٍّ / (ق١٠/ظ) ولا عُقوقٍ اقتداءً بهذِهِ الأبياتِ:

لمَّا عَفَوْتُ ولم أحقِدْ على أحدٍ   أرَحْتُ نفسيَ مِنْ غَمِّ العداواتِ

---

(١) في الأصل: (إلى ما).

إنّي أحيّي عدوّي حينَ رؤيتِهِ   لأدفعَ الشرَّ عنّي بالتحيّـاتِ
وأُظهِرُ البِشْرَ للإنسانِ أُبغِضُهُ   كأنّهُ قد حُشي[1] قلبي مسرّاتِ

وأنشدَ أحمدُ بنُ عبيدٍ عن المدائنيّ[2] :

ومَنْ لم يُغمّضْ عينَهُ عن صديقِهِ   وعن بعضِ ما فيهِ يَمُتْ وهوَ عاتِبُ
ومَنْ يتتبَّعْ جاهداً كلَّ عثرةٍ   يجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدّهرَ صاحِبُ

[حفظُ العهدِ]

ومِنها ملازمةُ الأخوّةِ ، والمُداومةُ عليها ، وتركُ المَلَلِ ؛ فقد قالَ النبيُّ ، ﷺ : « أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ أدومُها ، وإنْ قلَّ » ، وقالَ محمّدُ بنُ واسع[3] : « وليس للملولِ صديقٌ ولا لِحاسدٍ غناءٌ » .

---

(١) سكنت الياء لضرورة شعرية لئلا يختلّ وزن البيت ، ومسرات هنا منصوبة بنزع الخافض .

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، أحد موالي شمس بن عبد مناف ، وقد ولد سنة ١٣٥ هـ ، وتوفي سنة ٢٢٥ هـ في منزل إسحق بن إبراهيم الموصلي ، وكان منقطعاً إليه ، وله عشرات المؤلفات التي صنفها في موضوعات شتى ، وقد أوردها ابن النديم كاملة . (فهرست ابن النديم ص ١٥٣ — ١٥٨) .

(٣) أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصريّ ، المتوفى سنة ١٢٧ هـ ، وقيل سنة ١٢٣ هـ .

[إقلالُ العتابِ]

ومِنْها الإغْضاء عن الصَّديقِ في بعضِ المكارِهِ ؛ ويُنشَدُ :

صَبَرْتُ على بعضِ الأذى خوفَ كُلِّه ودافَعْتُ عن نفسي بنفسي فَعَزَّتِ
فيا رُبَّ عزٍّ ساقَ للنَّفسِ ذُلَّها ويا رُبَّ نفسٍ بالتَّذلُّلِ عَزَّتِ
وجَرَّعتُها(١) المكروهَ حتى تَجَرَّعَتْ ولو لم أُجرِّعْها كذا لاشْمأزَّتِ

وأنْشَدَ ثَعْلَبٌ :

أُغمِّضُ عَيْني عَنْ صَديقي تَجَشُّماً(٢) كأنِّي بما يأتي مِن الأمرِ جاهِلُ
وما بيَ جَهْلٌ غيرَ أنَّ خليقتي تُطيقُ احتمالَ الكُرْهِ فيما تُحاوِلُ

ولبعضِهِم(٣) :

---

(١) جرّعه الماء : أبلعه إياه جرعة بعد جرعة ، وتجرعه شيئاً بعد شيء .

(٢) في الأصل : (تعشماً) ، تجشمت الأمر إذا ركبت أجسمه ، وتجشمته إذا تكلفته وفعلته على كره ومشقة .

(٣) القائل هو الشاعر بشار بن برد ، والأبيات من قصيدة مدح بها ابنَ هُبيرة ، فأعطاه عليها أربعين ألفاً ، والأبيات المذكورة أوردها صاحب الأغاني وذكر قصة حولها ، وأشار إلى أنها من الأصوات التي غني بها ، وقال : إن لأبي العُبَيْس بن حمدون خفيف ثقيلٍ بالبنصر (الأغاني : ج ٣ ص ١٩١) .

إذا كُنْتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً　　صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تعاتِبُهْ

(ق١١/و) فَعِشْ واحداً أوصِلْ أخاكَ فإنّهُ　　مُقارفُ[1] ذنبٍ مرّةً ومُجانِبُهْ

إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى　　ظَمِئْتَ وأيُّ النّاسِ تصفو[2] مشارِبُهْ

[تركُ الاستخفافِ]

ومِنها تركُ الاستخفافِ بأحدٍ مِن الخَلْقِ ، ومعرفةُ كلِّ واحدٍ مِنْهمْ ليُكْرَمَ على قَدْرِهِ . قالَ ابنُ المباركِ[3] : « مَنِ استخفَّ

---

(١) في الأصل : (يفارقه) .

(٢) في الأصل : (وأي فتىً في الناس يصفو مشاربه) ، وجاء في هامش المخطوطة (ظمئت) .

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ، أحد العلماء الزهاد ، وكان من أثبت الناس في رواية السنة . توفي بهيت منصرفاً من الغزو سنة ١٨١ هـ .

له من المؤلفات كتاب (السنن في الفقه) وكتاب (التفسير) وكتاب (التاريخ) وكتاب (الزهد) وكتاب (البر والصلة) . رُوي عنه أنه بلغه تولي ابن علية الصدقات في البصرة ، فكتب إليه أبياتاً يلومه على ذلك ، فلما بلغت ابن علية بكى واستعفى من عمله .

(انظر تاريخ بغداد ، ج ١٠ ص ١٥٢ ؛ ومعيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي ، ص ٧٣ ؛ وفهرست ابن النديم ، ص ٣٣٣) .

بالعُلماءِ ذَهَبَتْ آخرتُهُ ، ومَنْ استخفَّ بالأُمراءِ ذَهَبَتْ دنياهُ ، ومَنْ استخفَّ بالإخوانِ ذهَبَتْ مُروءتُهُ » .

[ملازمةُ الصَّديقِ]

ومنها ألّا[1] تَقْطَعَ صديقاً بعد مُصادقتِهِ ، ولا تَرُدَّهُ بعـد قبُولٍ . شعرٌ :

لا تمدَحنَّ امرأً حتى تُجرِّبَهُ ولا تذُمَّنَهُ مِنْ غيرِ تجريبِ

فإنَّ حَمْدَكَ مَنْ لم تبْلُهُ سَرَفٌ[2] وإنَّ ذمَّكَ بَعْدَ الحَمْدِ تكذيبُ[3]

قالَ حمدونُ القصّارُ : « اقبَلوا إخوانَكمْ بالإيمانِ ، ورُدُّوهمْ بالكُفْرِ ؛ فإنَّ اللهَ ، سبحانَهُ وتعالى ، أوقعَ ما بينَ هذينِ في مشيئتِهِ ، وقال : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أنْ يُشرَكَ بهِ ويَغفِرُ ما دونَ ذلكَ لمَنَ يشاءُ ﴾[4] الآيةُ » .

---

(١) في الأصل : (لا) .

(٢) في الأصل : (شرف) بالشين المعجمة والصواب بالسين المهملة .

(٣) في الروي إقواء ، وهو أحد عيوب القافية ، وهو هنا اختلاف حركة الروي بالضم والكسر .

(٤) سورة النساء ٤/٤٨ و ١١٦ .

[قُدسيّةُ الصداقةِ]

ومِنها ألاّ يُضيعَ صداقةَ صديقٍ بعدَ وُدٍّ ، فإنّها عزيزةٌ ؛ وكَتَبَ عالِمٌ إلى مَنْ هو مثلُهُ : « أنِ اكْتُبْ لي بشيءٍ ينفعُني في عُمْري » ، فكتَبَ إليهِ : « بسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ . استوحشَ مَنْ لا إخوانَ لهُ ، وفرَّطَ المُقصِّرُ في طلبِهِمْ ؛ وأشدُّ تفْريطاً مَنْ ظَفِرَ بواحدٍ مِنْهُمْ فضيَّعَهُ ؛ ولوَجَدَ أنَّ الكبريتَ الأحمرَ[1] أيسرُ مِنْ وِجْدانِهِ ؛ وإنِّي أطلبُهُ منذُ خمسينَ سَنَةً ، ولم أجِدْ إلا نِصْفَ صديقٍ » . والناسُ ثلاثةٌ : معرفةٌ ، وأصدقاء ، وإخوانٌ ؛ فالمعرفةُ بينَ النّاسِ كثيرةٌ ، والأصدقاءُ عزيزةٌ ، والأخُ قلّما يُوجَدُ .

[التواضعُ والتّكبُّرُ]

(ق١١/ظ) ومنْهـا / التّواضعُ للإخوانِ ، وتركُ التكبُّرِ عليهِمْ . قالَ رسولُ الله ، ﷺ : « إنَّ اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، أوْحى إليَّ أنْ : تواضَعْ

---

(١) الكبريت الأحمر : الكبريت في الأصل الحجارة الموقد بها ، ويقول ابن دريد : لا أحسبه عربياً أصيلاً . أما الكبريت الأحمر ، فيقال : هو من الجوهر ، ومعدنه كما يقول صاحب التهذيب « موجود خلف بلد التُّبَّت » .

حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ » . وقالَ المُبرّدُ : « النِّعمةُ التي لا يُحسَدُ صاحبُها عليها التواضعُ ، والبلاءُ الذي لا يُرْحَمُ صاحبُهُ العُجْبُ » .

[جوامعُ العِشْرةِ]

ومِنْ جوامِعِها قولُ ابنِ الحَسَنِ الوَرّاقِ [1] ، وقد سألَ أباعُثْمانَ [2] عن الصُّحبةِ ، قال : « هِيَ مَعَ اللهِ بالأدبِ ، ومَعَ الرّسولِ ، عليهِ السّلامُ ، بمُلازَمَةِ العلمِ واتّباعِ السُّنّةِ ، ومعَ الأولياءِ بالاحترامِ والخِدْمةِ ، ومَعَ الإخوانِ بالبِشْرِ والانبساطِ وتَرْكِ وُجوهِ الإنكارِ عليهِمْ ، ما لم يكنْ خَرْقَ شريعةٍ أو هتكَ حُرمةٍ » . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ خُذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ ﴾ [3] الآيةُ . والصُّحبةُ مَعَ الجُهّالِ بالنَّظرِ إليهمْ بعينِ الرّحمةِ ، ورؤيةِ نعمةِ اللهِ عليكَ إذْ لم يَجعَلْكَ مثلَهمْ ، والدُّعاءِ للهِ أنْ يُعافيَكَ مِنْ بلاءِ الجَهلِ » .

---

(١) هو أبو العباس محمد بن الحسن بن الوراق .

(٢) هو أبو عثمان الحيري ، وسوف يذكره المؤلف بعد ذلك .

(٣) سورة الأعراف ١٩٩/٧ .

[حِفظُ المودّةِ والأُخوّةِ]

ومِنْها حِفظُ المَوَدّةِ القديمةِ والأُخوّةِ الثّابتةِ ، لِقولِه ، عليهِ السّلامُ : « إنّ اللهَ يُحِبُّ حفظَ الوُدِّ القديمِ » ؛ ودخلتْ امرأةٌ على رسولِ اللهِ ، ﷺ ، فأدناها ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : « إنّها كانتْ تأتينا أيامَ خديجةَ ، وإنّ حُسْنَ العهدِ مِن الإيمانِ » ؛ وقالَ مُحمّدٌ المغازليُّ ، رحمَهُ اللهُ : « مَنْ أحبَّ أنْ تدومَ لهُ المودّةُ ، فلْيَحْفَظْ مودّةَ إخوانِهِ القُدماء » ؛ ولبعضِهِمْ :

ما ذاقتِ النّفسُ على شهوةٍ ... ألذَّ مِنْ حبِّ صديقٍ أمينْ
مَنْ فاتَهُ وُدُّ أخٍ صالحٍ ... فذلكَ المغبونُ حقَّ اليقينْ

(ق١٢/و) ولبعضِ الحكماء مِنَ السّلَفِ : « عاشِرُوا النّاسَ ، فإنْ عِشْتُمْ حَنُّوا[1] إليكم ، وإنْ مِتُّمْ بكَوا عليكمْ » .

---

(١) في الأصل (جنوا) بالجيم المعجمة ، والصواب بالحاء المهملة .

[صُحْبَةُ السَّلامةِ]

ومِنْها قولُ أبي عُثْمانَ الحِيْرِيِّ ، وقد سُئلَ عن صُحبةِ السَّلامةِ : « أنْ يُوسِّعَ الأخُ على أخيهِ مِنْ مالِهِ ، ولا يَطمَع فيما لَهُ ، ويُنصِفَهُ ، ولا يطلُبَ الإنصافَ مِنْهُ ، ويستكثرَ قليلَ بِرِّهِ ، ويستصغرَ ما مَنَّ بهِ عليهِ[1] »[2] .

[الإيثارُ والإكرام]

ومِنْها إيثارُ الإخوانِ بالكرامةِ على نفسِهِ . قالَ أبو عُثْمانَ : « مَنْ عاشَرَ الناسَ ، ولم يُكرِمْهُمْ ، وتكبَّرَ عليهِمْ ، فذلك لِقِلَّةِ رأيِهِ وعقلِهِ ، فإنَّهُ يُعادي صديقَه ويُكرِمُ عدوَّهُ ، فإنَّ إخوانَهُ في اللهِ أصدقاؤهُ ، ونفسَهُ عدوُّهُ ؛ ورُوِيَ عن النبي ، ﷺ

---

(١) في الأصل : (ما منه إليـــه) ، ولعله من تحريف الناسخ ، والصواب ما أثبت .

(٢) أورد المبرّد بعض الأقوال في هـذا الباب نشير منها إلى قول قيس بن عاصمٍ : « يا بني تميم : اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه ، وينسى أياديه إليكم » (الكامل ج ١ ص ١٨٠) .

أنَّهُ قال : « أعدَى عدوِّكَ نفسُكَ التي بينَ جَنبَيْكَ »، وقالَ القاسمُ ابنُ مُحمَّدٍ : « قد جَعَلَ اللهُ في الصَّديقِ البارِّ عِوضاً مِن الرَّحِمِ المُدبِرِ[1] » .

[حقوقُ الفقراء]

ومِنها معرفةُ حُقوقِ الفُقراءِ والقِيامُ بحوائِجِهِمْ وأسبابِهِم[2]. قالَ ابنُ أبي أوفَى: « كانَ رسولُ اللهِ ﷺ ، لا يأْنَفُ ولا يَستَكبِرُ ، أنْ يَمشيَ مَعَ الأَرمَلةِ والمِسكينِ ، فَيقضيَ حاجتَهُما » .

[حُسْنُ العِشرةِ]

ومنها ملازمةُ الأدبِ مَعَ الإخوانِ وحسنُ معاشرتِهمْ ؛ فقد قالَ

---

(١) المدبر : يقال أدبر الرجل إذا تغافل عن حاجة صديقه ، ويقال رجل أُدابر بالضم قاطع رحمه ولا يقبل قول أحد ، والتدابر أيضاً المصارمة والهجران .

(٢) أي أسباب رزقهم ، وفي حديث عقبة « وإن كان رزقه في الأسباب » أي في طرق السماء وأبوابها .

الجُنيدُ[١] ، رَحِمَهُ اللهُ ، إذْ سُئِلَ عن الأدبِ : « إنَّهُ حُسْنُ العِشْرَةِ » .
والفَرْقُ بينَ عِشْرَةِ العلماءِ والجُهّالِ قولُ يَحْيى بنِ مُعاذٍ[٢] الرّازيِّ :
« إنَّ العُلماءَ عَبَدُوا اللهَ بقلوبِهِمْ ، والنّاسَ عبدُوهُ بأبدانِهِمْ[٣] ، والجُهّالَ
عبدُوهُ بألسِنَتِهِمْ[٤] ، وهُمْ عَبَدُوهُ[٥] بقلوبِهِمْ وأبدانِهِمْ
وألسنتهِمْ » .

---

(١) أبو القاسم ، الجنيد بن محمد بن الجنيد القواريري الخزّاز ، وأصله من نهاوند ، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد ، وكان سيد طائفة الصوفية وفقيهاً مشهوراً على مذهب أبي ثور ، وعرف عنه أنه أفتى وهو ابن عشرين سنة ؛ ويقال : إن نقش خاتم الجنيد « إن كنت تأمله فلا تأمنه » . توفي ليلة النيروز في شوال سنة ٢٩٨ هـ ، ودفن عند قبر خاله سري السقطيّ ببغداد .
(ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ١٦٨ — ١٧١ ؛ وابن النديم : الفهرست ، ص ٢٧٨) .

(٢) في الأصل : (معاد) بالدال المهملة ، وهي بالذال المعجمة ، ويحيى بن معاذ الرازي من الزهاد المتهجدين ، وكان عـابداً ، وله أصحاب . توفي سنة ٢٠٦ هـ ، ومن مؤلفاته كتاب المريدين .
(ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٧٤) .

(٣) في الأصل : (وعبدو الناس بأبدانهم) .

(٤) في الأصل : (بأنفسهم) .

(٥) في الأصل : (وعبدوهم) .

[حِفْظُ الأسرارِ]

ومِنها حفظ أسرارِ الإخوانِ ، فقد قالَ النبيُّ ، ﷺ : (ق١٢/ظ) « استعينوا على حوائِجِكمْ / بالكِتمانِ ، فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ » ، وقالَ بعضُ الحكماءِ : « قلوبُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ » ، وقيلَ : « أفشَى رجلٌ لصديقٍ[1] لهُ سِرًّا مِنْ أسرارِهِ ، فلمّا فَرِغَ قالَ لهُ : حَفِظْتَهُ ؟ قالَ : لا ، بل نَسِيتُهُ » .

ولبعضِهِمْ :

ليس الكريمُ الذي إنْ زلَّ صاحبُهُ ... بثَّ الذي كانَ مِنْ أسرارِهِ عَلِما
إنَّ الكريمَ الذي تبقى مودَّتُهُ ... ويَحْفَظُ السِّرَّ إنْ صافَى[2] وإنْ صَرَما

[قبولُ المَشُورةِ]

ومِنها المَشُورَةُ مَعَ الإخوانِ وقبولُها مِنْهُمْ. قالَ اللهُ ، عزَّ وجلَّ : ﴿ وشاوِرهُمْ في الأمرِ[3] ﴾ . قالَ ابنُ عبَّاس : « لما نزلتْ هذهِ الآيةُ قالَ رسولُ اللهِ ، ﷺ : غنيّانِ عنْها ، ولكنْ

---

(١) في الأصل : (إلى صديق) .

(٢) في الأصل : (صافا) .

(٣) سورة آل عمران ٣ / ١٥٩ .

جَعَلَها اللهُ رحمةً لأُمّتي : فمَنْ شاوَرَ مِنْهُم لم يَعْدَمْ رُشْداً ، ومَنْ تَرَكَ المَشُورَةَ مِنهُمْ لم يَعْدَمْ غَيًّا » .

[إيثارُ الأصحابِ]

ومِنْها إيثارُ الأرفاقِ [1] على الإخوان . قال اللهُ تعالى : ﴿ ويؤْثِرُونَ على أنفسِهِمْ ، ولو كانَ بِهِمْ خَصَاصةٌ [2] ﴾ الآية . وقيلَ سُعِيَ إلى بعضِ الخلفاء بالصُّوفيَّةِ أَنَّهُمْ [3] يرفضُونَ الشَّريعةَ ، فأَخَذَ مِنْهمْ طائفةً ، مِنْهُمْ أبو الحُسينِ [4] النُّوريُّ ، رَضيَ اللهُ عنهُ ، فأَمَرَ بضَرْبِ أعناقِهِمْ ، قالَ : فبادَرَ أبو الحسينِ [5] إلى السيَّافِ ،

---

(١) المعروف أن الرُّفقة والرِّفقة والرُّفقة والرُّفاقة أي جماعة المرافقين ، وتجمع على رفاق ورِفَق ورُفُق وأرفاق .

(٢) سورة الحشر ٥٩/٩ .

(٣) في الأصل : (بأنَّهم) .

(٤) في الأصل : (أبو الحسن) ، وهو أبو الحسين النوري .

(٥) في الأصل : (أبو الحسن) .

فقالَ لهُ السَّيَّافُ : مالكَ بادَرْتَ دونَ أصحابِكَ ؟ فقالَ : أرَدْتُ إيثارَ أصحابي بحياةِ هذهِ اللَّحظَةِ ، فكانَ ذلكَ سببَ نجاتِهمْ .

[التَّخلُّقُ بمكارم الأخلاقِ]

ومِنْها التَّخلُّقُ بمحاسنِ الأخلاقِ . قال أبو مُحمَّدٍ الحريريُّ : « كمالُ الرَّجلِ في ثلاثةٍ : الغُربةُ ، والصُّحبةُ ، والفِطنةُ ؛ فالغُربةُ لتذليلِ النَّفسِ ، والصُّحبةُ للتَّخلُّقِ بأخلاقِ الرِّجالِ ، والفِطنَةُ للتَّمكينِ » .

[مُوافقةُ الإخوانِ]

(ق١٣/و) ومِنْها قِلَّةُ مُخالفةِ الإخوانِ في أسبابِ الدُّنيا ، لأنَّها أقلُّ خَطَراً مِنْ أنْ يُخالِفَ فيها أخٌ مِنَ الأخوانِ . قالَ يحيى بنُ معاذٍ[1] الرَّازيُّ : « الدُّنيا بأجمعِها لا تساوي[2] غمَّ ساعةٍ ، فكيفَ

---

(١) في الأصل : (معاد) بالدال المهملة . ونرجح أنها كسابقتها بالذال المعجمة.

(٢) في الأصل : (لاتسوي) ، والأصح استعمال (لا تساوي) ، فقد أورد صاحب اللسان أنه لا يقال : (لا تسوى) .

بغمِّ طولَ عمرِكَ وقطعِ إخوانِكَ بسببِها ، مَعَ قِلَّةَ نصيبِكَ منها !!»

[الصحبةُ والوفاء]

ومِنْها أَنْ تُصاحِبَ الإخوانَ على الوفاءِ والدِّينِ ، دونَ الرَّغبةِ والرَّهبةِ والطمعِ . قالَ الحريريُّ : «تعاملَ القرنُ الأوَّلُ فيما بينَهمْ بالدِّينِ زماناً طويلاً حتى رقَّ الدِّينُ ، ثم تعاملَ القرنُ الثَّاني بالوفاءِ حتى ذَهَبَ الوفاء ، ثم تعاملَ القرنُ الثَّالثُ بالمرُوءةِ حتى ذهبَتِ المُروءةُ ، ثم تَعامَلَ القرنُ الرَّابعُ بالحياءِ حتى ذهبَ الحياء ، ثم صارَ النَّاسُ يَتَعاملونَ بالرَّغبةِ والرَّهبةِ» . قال الشَّيخُ : وكنتُ أستحسنُها لهُ حتى رأيتُ مثلَها للشَّعبيِّ ، وأظنُّهُ زادَ ، وسيأتي ماهو أشدُّ .

[تركُ المُداهنةِ]

ومِنْها تركُ المُداهنةِ[1] في الدِّينِ مَعَ مَنْ يُعاشِرُهُ . قالَ سهلُ

---

(١) المداهنة والإدهان : المصانعة واللين ، وقيل : إظهار خلاف ما يضمر ، وفي التنزيل العزيز : «ودوا لو تُدهن فيُدهنون» . وداهن : أي نافق .

ابنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ[1] : «لا يَشُمُّ رائحةَ الصِّدقِ مَنْ داهَنَ نَفْسَهُ أو غيرَهُ».

[تحرّي الموافقة]

ومِنْها قِلَّةُ الخِلافِ على الإخوانِ، وتحرّي مُوافَقَتِهِمْ فيما يُريدونَ في غيرِ مُخالفةِ الدِّينِ والسُّنَّةِ؛ قالَ جُوَيْرِيَّةُ : «دعوتُ اللهَ أربعينَ سَنَةً أنْ يَعْصِمَني مِنْ مخالفةِ الإخوانِ».

[الذَّبُّ عن الإخوانِ]

ومِنْها القيامُ بأعذارِهِمْ، والذَّبُّ[2] عنهمْ، والانْتصابُ لَهُمْ،

---

(١) نسبة إلى تُسْتَر، وهي بضمّ التاء وسكون السين وفتح التاء الأخرى : أعظم مدينة بخوزستان، تحدث عنها ياقوت، وبيّن أهميتها، ثم قال : «ويُنسبُ إلى تُستَر جماعة، منهم سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله التستريّ شيخ الصوفية، صحب ذا النون المصريّ، وكانت له كرامات، وسكن البصرة، ومات سنة ٢٨٢ هـ، قيل سنة ٢٧٣». أما أشهر مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم (كتاب دقائق المحبين) و (كتاب مواعظ العارفين) و (كتاب جوابات أهل اليقين). الفهرست، ص ٢٧٧ ؛ ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٩ — ٣١.

(٢) في الأصل : (والدب).

كما قالَ الجُنيدُ رَحمَهُ اللهُ ، وقيلَ لهُ : ما بالُ أصحابِكَ أكلُهُمْ كثيرٌ ؟ قالَ : لأنّهمْ لا يشربونَ الخمْرَ ، فيكونُ جوعُهُمْ أكثرَ ؛ وقيلَ لهُ : ما بالُهمْ لهُمْ قوّةُ شهوةٍ ؟ قالَ : لأنّهمْ لا يزنونَ ، ولا يدخلونَ تحتَ محظورٍ ؛ قيلَ : فما بالُهمْ / لا يَطْرَبونَ إذا (ق١٣/ظ) سَمِعُوا القُرآنَ ؟ قال: لأنّهُ كلامُ الحَقِّ ، ما فيهِ ما يُوجبُ الطَّرَبَ ، نَزَلَ بأمرٍ ونهيٍ ، ووَعْدٍ ووَعيدٍ ، فهو يَقْهَرُ ؛ قيلَ : فما بالُهُمْ لا يَطربونَ عندَ القصائدِ ؟ قالَ : لأنّها ممّا عَملَتْ أيديهمْ ؛ قيلَ : فما بالُهُمْ يطربونَ عندَ الرُّباعياتِ[1] ؟ قالَ لأنّها كلامُ المحِبّينَ والعُشّاقِ ؛ قيلَ : فما بالُهُمْ محرومينَ مِنَ النّاسِ ؟ قال : قد قالَ أُستاذُنا القصّارُ ، إذْ سُئِلَ عن ذلكَ : لخِلالٍ ثلاثٍ ، أحدُها : أنَّ اللهَ لا يرضى ما لَهُمْ لَهُمْ ، والثّانيةُ : أنّهُ تعالى لم يرضَ حسناتِهمْ بصحائفِ النّاسِ ، والثّالثةُ : أنّهمْ قومٌ لم يَسيروا إلاّ إلى اللهِ ، فمَنَحَهُمْ[2] كُلَّ ما[3] سِواهُ ، وأَفْرَدَهُمْ لهُ .

---

(١) المقصود بالرباعيات هو فن الدوبيت أحد الأبحر المعروفة في عصور الدول المتتابعة أخذه المحدثون من الفرس .

(٢) في الأصل : (فمنعهم) .

(٣) في الأصل : (كلما) ، والصواب ما أثبتناه .

[احتمالُ الأذى]

ومِنْها احْتِمالُ الأذى ، وقِلَّةُ الغضَبِ ، والشَّفَقَةُ ، والبَسْطُ ، والرَّحمةُ ، لقولِ النَّبيِّ ، ﷺ ، للرَّجلِ ، إذْ قالَ لَهُ : عِظْني ، وأَوْجَز ، قالَ : « لا تغضبْ » ، وقولُهُ : « مِنْ مُوجِباتِ المغفرةِ طيبُ الكلامِ » ، وقولُهُ : « مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ » .

[الانبساطُ في النفسِ والمالِ]

ومِنْها الانبساطُ[1] لإخوانِهِ في النَّفسِ والمالِ ، وألاَّ يَرَى بينَهُ وبينَهُمْ فَرْقاً ، لِما رُويَ عن النبي ، ﷺ ، أنَّهُ كانَ يَنْبَسِطُ في مالِ أبي بكرٍ ، رضيَ اللهُ عنه ، ويَحكُمُ فيهِ كانبساطِهِ في مالِهِ وحكمِهِ .

[مجانبةُ الخصالِ الذميمةِ]

ومِنْها مُجانَبَةُ التَّباغُضِ والتَّدابُرِ والتَّحاسُدِ ، لقولِهِ ، عليهِ السَّلامُ : « لا تَباغَضُوا ، ولا تحاسدُوا ولا تَدابَرُوا ، وكونوا ،

---

(١) يقال : بسط فلان يده بما يحب ويكره أي مدها ، وبسط اليد كناية عن الجود ، ويقال أيضاً : انبسط الشيء امتد وطال ، وانبسط إليه وباسطه مباسطة .

عبادَ اللهِ ، إخواناً » ؛ فأمَرَهُمْ بإسقاطِ ذلكَ في حقِّ الأُخوَّة ، ونَزَّهَها عن هذهِ الخِصالِ الذَّميمةِ[1]

[بغضُ الدُّنيا]

ومِنْها التآلُفُ مَعَ الإخوانِ على بغضِ الدُّنيا ، فإنَّهُ لا يقعُ بينَهم المُخالفةُ / إلاَّ بِسَبَبِها . وقالَ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ : (ق١٤/و) « المؤمنُ مألوفٌ ، ولا خيرَ فيمَنْ لا يألفُ ولا يُؤْلفُ » .

[عِشرة الأهلِ والنسوانِ]

ومِنْها أدبُ العِشْرةِ مَعَ النِّسوانِ والأهلِ ، لأنَّ اللهَ خَلَقَهُنَّ ناقصاتِ عقلٍ ودِينٍ ، فيُعاشِرُهُنَّ بالمعروفِ على حَسَبِ ماجَبَلَهُنَّ اللهُ عليهِ ، ولذلك جَعَلَ اللهُ ، سُبحانَه ، شهادةَ امرأتينِ كشهادةِ رجلٍ واحدٍ ؛ وقالَ ، عليه السَّلامُ : « ما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ بعقولِ الرجالِ وذوي الألبابِ مِنكنَّ[2] » الحديث ؛

---

(١) في الأصل : (الدميمة) بالدال المهملة ، وصوابها بالذال المعجمة .

(٢) وفي رواية أخرى للحديث المذكور في ذكر النساء : « ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهبَ للبِّ الحازم من إحداكنّ يا معشر النساء » .

وقال ، عليهِ السَّلامُ : « خيرُكُمْ خيرُكُمْ لأهلِهِ »[1] ؛ وقالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ، كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : « عقلُ المرأةِ جمالُها ، وجمالُ الرَّجلِ عقلُهُ » ؛ وسُئلَ أبو جَعْفرٍ[2] عن قولِهِ تعالى: ﴿ وعاشروهنَّ بالمعروفِ ﴾[3] ، فقال : « هو حُسْنُ الصُّحبةِ مَعَ مَنْ سأَلْتَ[4] ومَنْ كَرِهْتَ صُحْبَتَها » .

[حسنُ معاشرةِ الخادمِ]

ومِنْها حُسْنُ العِشْرةِ مَعَ الخادِمِ ، لقولِ رسولِ اللهِ ، ﷺ : « هُمْ إخوانُكمْ ، جَعَلَهُمْ اللهُ تعالى تحتَ أيديكُمْ ،

---

(١) وتمام الحديث رواية عن ابن عباس : « ... وأنا خيركم لأهلي » أما ابن ماجه والحاكم فقد روياه : « خيركم خيركم للنساء » (الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٧٢) .

(٢) أي أبو جعفر الطحاوي كما رجحنا ، وهو أحمد بن محمد بن سلمة بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي ، وهو ابن اخت المزني صاحب الشافعي ، وقد توفي بمصر سنة ٣٢٢ هـ . ذكر ابن النديم أنه كان « يتفقه على مذهب أهل العراق ، وكان أوحد زمانه علماً وزهداً » له مؤلفات كثيرة مشهورة . (ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٠٦) .

(٣) سورة النساء ٤ / ١٩ .

(٤) في الأصل : (سال) .

فاطعموهُمْ مِمّا تأكلونَ ، واكسوهُمْ مِمّا تلبَسُونَ ، ولا تكلِّفوهُمْ ما لا يُطيقونَ » . وكانَ آخرُ كلامِهِ ، عليه السّلامُ ، وهو مُحتضرٌ الصلاةَ ﴿ وما مَلَكَتْ أيمانكمْ ﴾(١) . وقالَ أنسٌ ، رضيَ اللهُ عنه : « خَدَمْتُ رسولَ اللهِ ، ﷺ ، عَشْرَ سنينَ فما قالَ لشيْءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَهُ ؟ ولا لشيْءٍ لم أفعلْهُ ؟ » لِمَ لا فَعَلْتَهُ ؟ » وقال رجلٌ لرسولِ اللهِ ، صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ : «ما حقُّ جاري عَليّ؟» قالَ : « تُفرِشُهُ معروفَكَ ، وتُجنِّبهُ أذاكَ ، وتُجيبُهُ إذا دعاكَ » .

[عشرة أهلِ الأسواقِ والتجّارِ]

ومِنْها العِشرةُ مَعَ أهل الأسواقِ والتجارِ ألاّ تُخْلِفَ وعدَهُمْ / (ق١٤/ظ) وتَعْذِرَهُمْ في خُلْفِ الوعدِ إذْ لا يُمكِنُهمْ الخروجُ مِنْ حقِّكَ إلاّ في الوقتِ الذي يسَّرَهُ اللهُ ، وتَعْلَمَ أنَّ جلوسَكَ على الحانوتِ غايةُ طلبِ الدُّنيا ، وتَعذِرَهُمْ(٢) في ذلكَ لأجلِ قضاء دَينٍ أونفقةٍ على

---

(١) سورة النساء ٤ / ٣٦ .

(٢) في الأصل : (وتعدرهم) بالدال المهملة ، والصواب بالذال المعجمة .

عِيال أو أبوين ، فالجلوسُ في الحانوتِ حقُّكَ نَقْصٌ ، وفي حقِّهِمْ عُذْرٌ ؛ فإنْ جاء أحدٌ يشتري مِنْكَ شيئاً فاللهُ سائقُه إليكَ لرزقِكَ ، فلا تَشُبْ(١) بيعَكَ بِخُلْفٍ ، ولا كَذِبٍ ، ولا خَنَى لئلاَّ تُحرَمَ بهذهِ الأمورِ المحرَّمةِ ما رزقَكَ اللهُ حلالاً مقدَّراً .

واحْمَدِ اللهَ على رِبْحِكَ ، وافرَحْ برِبْحِ أخيكَ كفرَحِكَ برِبْحِكَ ؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ : « لا يجدُ العبدُ حلاوةَ الإيمانِ حتى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفسه »(٢) .

وإذا أمسكتَ الميزانَ فاذكُرْ ميزانَ القيمةِ ، وما عليكَ مِنَ الحقِّ ، واحذرِ التَّطفيفَ ، لقولِهِ تعالَى : ﴿ ويلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾(٣) .

وأنظِرْ مُعْسِراً(٤) عن(٥) مالٍ ، لقولِهِ تعالى : ﴿ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ ﴾(٦) ؛ فقد جَعَلَ اللهُ لهُ أماناً ومُهْلةً .

---

(١) في الأصل : (فلا تشيب) .

(٢) في رواية ثانية عن أبي حمزة أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم .

(٣) سورة المطففين ٨٣ / ١ .

(٤) في الأصل : (معسر) ،

(٥) في الأصل : (عز) .

(٦) سورة البقرة ٢ / ٢٨٢ .

وأقِلْ مَنْ استقالَكَ ، لقولِهِ ، عليهِ السَّلامُ : « مَنْ أقالَ نادِماً بيعَتَهُ أقالَ اللهُ عثرَتَهُ يومَ القيامةِ »[1] .

وأرْجِحْ لِمَنْ وزَنْتَ لَهُ ، فإنَّ النبيَّ ، ﷺ قالَ لِوزَّانٍ ، وَزَنَ لصاحبِ حقٍّ : « أرْجِحْ » ؛ وإذا وَزَنْتَ لنفسِكَ فانقِصْ لتيقُّنِ وجهِ الحلِّ .

واحذَرِ المَطْلَ مَعَ اليَسَرَةِ ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ : « مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ » .

ولا تَمْدَحْ سِلْعتَكَ وتذمَّ سِلْعَةَ أخيكَ ، فهو نِفَاقٌ .

والْزَمِ البِرَّ والصِّدْقَ ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ : « التُّجَّارُ فُجَّارٌ إلاَّ مَنْ بَرَّ وصَدَقَ » .

وشُبْ بيعَكَ بشيْءٍ / مِنَ الصَّدَقَةِ ، لقولِهِ ، عليهِ السَّلامُ : (ق١٥/و) « يا معشرَ التُّجارِ هذهِ البيوعُ[2] يُخالطُها الحَلِفُ والكَذِبُ ، فشُوبوها بشيءٍ مِنَ الصَّدَقَةِ » .

واجْعَلْ خُرُوجَكَ للتِّجارةِ لتقضيَ حاجةَ المسلمينَ ، فإنَّ رِزْقَكَ

---

(١) في الأصل : (القيمة) .

(٢) بيوع جمع بيع .

مُقَدَّرٌ بفضلِ اللهِ . قال ابنُ المُباركِ : « وتكونُ نيَّتُكَ مُبارَكَةً عليكَ لقولِهِ عليهِ السلامُ : نِيَّةُ المؤمنِ خيرٌ مِنْ عملِهِ » . قالَ بعضُ الحكماءِ في معنى الخيرِ : « نيَّةٌ بلا عَمَلٍ خيرٌ مِنْ عملٍ بلا نيَّةٍ » .

[العفْو عن الهفوات]

ومِنْها العفْو عن هَفْوَةِ الإخوانِ في النَّفسِ والمالِ دونَ أُمورِ الدِّينِ والسُّنَّةِ ، لقولِهِ تعالى : ﴿ ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا [1] ﴾ ، [وقولِهِ][2] : ﴿ وأنْ تعفوا أقربُ للتَّقوى [3] ﴾ .

[حُسْنُ الجوارِ]

ومِنْها حُسْنُ الجِوارِ ، وأنْ يأمنَكَ جارُكَ في أسبابِهِ : في نفسِهِ ودينِهِ وأهلِهِ ومالِهِ وولدِهِ ؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ : « لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتى يأمنَ جارُهُ بوائقَهُ[4] » ، وقولِهِ ، عليه السَّلامُ :

---

(١) سورة النور ٢٤ / ٢٢ .

(٢) زيادة اقتضاها الفصل بين الشاهدين القرآنين .

(٣) سورة البقرة ٢ / ٢٣٧ .

(٤) بوائق : جمع بائقة ، وهي الشر والغائلة والداهية .

«ليس بمُؤمنٍ مَنْ يَشْبَعُ وجارُهُ إلى جانِبِه طاوٍ[1] » ، وقولِهِ : «لا تُؤْذِ[2] جارَكَ بقُتارِ[3] قِدْرِكَ ، ولا بلسانِكَ أيضاً ، ولا تَحسُدْهُ في شيءٍ مِنْ أحوالِهِ وأفعالِهِ ؛ وأشفِقْ عليهِ وعلى أهلِهِ وولدِهِ كشَفَقَتِكَ على نفسِكَ وأهلِكَ ؛ واحفظْ مالَهُ كحفظِ مالِكَ» .

[طلاقةُ الوَجْهِ]

ومِنْها طلاقَةُ الوَجْهِ والاسْتِرْسالُ[4] ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ : « إنَّ اللهَ يحِبُّ الطَّلْقَ الوجهِ[5] ، ولا يحِبُّ العَبوسَ » ؛ وقال ، عليهِ السَّلامُ : « مِنْ أخلاقِ المُؤمنينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ السِّياسةُ إذا تَزاوَرُوا ، والمُصافحةُ والبِرُّ إذا الْتَقَوا » .

[حُرْمَةُ الإخوانِ]

ومِنْها القيامُ بحُرْمَةِ مَنْ هو دونَه مِن الإخوانِ ، فكيفَ بمَنْ

---

(١) في الأصل : (طاوي) .
(٢) في الأصل : (لا تؤذي) .
(٣) القُتار : الدخان من المطبوخ ، رائحة اللحم والشواء .
(٤) الاسترسال : الاستئناس والطمأنينة الى الإنسان والثقة به فيما يحدثه ، وأصل معناه السكون والثبات .
(٥) وفي حديث آخر : « لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ، ولو أنْ تلقى أخاك بوجه طلق » .

(ق١٥/ظ) هو فوقَهُ أو مثلُهُ / لقولِهِ عليه السّلامُ : « سيّدُ القومِ خادِمُهُمْ » ،

وقال يحيى بنُ أكثمَ : بِتُّ ليلةً عندَ أميرِ المؤمنينَ المأمونِ ، فانتبَهْتُ ، وأنا عطشانُ ، فوثَبَ مِنْ مرقدِهِ ، فجاءَني بماءٍ[1] ، فقلْتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، ألا دَعَوْتَ بخادمٍ ؟ فقالَ : حدَّثني أبي عن أبيهِ عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ الجُهَنيِّ ، رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ النبيُّ ، ﷺ : « سيّدُ القومِ خادمُهُمْ » .

[المشاركةُ في السّرّاء والضرّاء]

ومِنْها أنْ يُشارِكَ إخوانَهُ في المكروهِ والمحبوبِ ، لا يَتَلَوَّنُ عليهِمْ في الحالينِ جميعاً .

[تَرْكُ المَنِّ]

ومِنْها ألّا يَمُنَّ[2] على مَنْ يُحسِنُ إليهِ ، ويَشْكُرَ ما يصلُ إليهِ مِنْهُمْ . قالَ عُرْوَةُ : كتبَ رجلٌ إلى عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ

---

(١) في الأصل : (بما) .

(٢) في الأصل : (يمر) ولا معنى لها هنا ، والصواب ما أثبتناه .

رُقعةً ، وجعلَها في ثِني[1] وسادتِه التي يَتّكئُ عليها ، فقلبَ عبدُالله الوسادةَ ، فبَصُرَ بالرُّقعةِ ، فقرأَها وردَّها إلى[2] مَوضِعِها ، وجَعلَ مكانَها كيساً ، فيهِ خمسُمائةِ دينارٍ[3] ، فجاءَ الرَّجلُ ، فدخلَ عليهِ ، فقالَ لهُ : قَلّبْتَ النمرقَة[4] ؟ فخُذْ ما تحتَها ، فأخذَ الرجلُ الكيسَ ، وخَرَجَ ، وهو يُنشِدُ :

زادَ معروفَكَ عِنْدي عِظَماً[5] أنَّه عِنْدَكَ مَيسورٌ حَقيرْ
تَتَناساهُ كأنْ لم تأتِهِ وهو عندَ النّاسِ مشهورٌ كَبيرْ

[الاعراضُ عن الواشي النَّمَّامِ]

ومِنْها ألّا يقبلَ على إخوانِهِ قولَ واشٍ نمَّامٍ ، لقولِ الخليلِ

---

(١) أي في طي وسادته .

(٢) في الأصل : (في) .

(٣) في الأصل : (ديناراً) .

(٤) النمرقة : الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها .

(٥) في الأصل : (عظيماً) .

بنِ أحمدَ : « مَنْ نمَّ لَكَ نمَّ عليكَ ، ومَنْ أخبرَكَ خبرَ غيرِكَ أخبرَهُ بخبرِكَ » . قال عليهِ السّلامُ : « لا يدخلُ الجنّةَ قتّاتٌ »[1] .

[الوفاءُ في الحياةِ والوفاةِ]

ومِنْها الوفاءُ للإخوانِ في الحياةِ والوفاةِ ، لقولِ بعضِ الحكماء : « مَنْ لم يَفِ للإخوانِ كانَ مغموزَ[2] النّسبِ » .

[الأخُ الموافِقُ]

(ق١٦/و) ومِنْها أنْ تكونَ الشّفقةُ على الأخِ / المُوافِقِ أكثرَ مِن الشّفقة على الوَلَدِ . قالَ أبو زائدةَ : « كَتَبَ الأحْنَفُ إلى صديقٍ له :

---

(١) في الأصل : (قيات) ، والصواب (قتات) . عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لايدخل الجنة نمّام » وفي رواية (قتات) . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي .

قال الحافظ : القتات والنمام بمعنى واحد ، وقيل : النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثاً ، فينمّ عليهم ، والقتات الذي يتسمع عليهم ، وهم لايعلمون ، ثم ينمّ . (الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٩٤) .

(٢) في الأصل : (معمور) . غمز فيه : طعن ، ورجل مغمـوز أي مطعون فيه ، ويقال : ليس في فلان غميزة ولا غميز ولا مغمز : أي مافيه مايغمز فيعاب به ولا مطعن .

أمّا بعدُ ، فإذا قدمَ أخٌ لكَ موافقٌ ، فليَكُنْ مِنْكَ بمنزلةِ السّمعِ والبَصَرِ ؛ فإنّ الأخَ المُوافِقَ أفضَلُ مِن الولدِ المخالِفِ . ألم تسمعْ قولَ اللهِ ، عزّ وجلّ ، لنوحٍ ، عليه السّلامُ ، في ابنِهِ : ﴿ إنّهُ لَيْسَ مِنْ أهلِكَ ، إنّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[1] .

[سترُ العَوراتِ]

ومِنْها الاجْتِهادُ في سترِ عوراتِ الإخوانِ وقبائحِهِمْ ، وإظْهارُ[2] مناقِبِهِمْ ، وكونُهُمْ[3] يداً واحدةً في جميعِ الأوقاتِ . قال النبي ، ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنَيْنِ إذا التَقَيا كاليدينِ تَغْسِلُ إحداهما الأخرى » .

وأُنشِدَ عن ثعلبٍ :

ثلاثُ خِصَالٍ لِلصّديقِ جَعَلْتُها ... مُضارَعَةً للصّومِ والصّلَواتِ
مُواساتُهُ ، والصّفحُ عن عَثَراتِهِ ... وتركُ ابْتذالِ السّرِّ في الخَلَواتِ

ولسعيدِ بنِ حمدانَ :

لم أُؤاخذْكَ إذْ جَنَيْتَ لأنّي ... واثقٌ مِنْكَ بالإخاءِ الصّحيحِ
فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلٍ ... وقبيحُ الصّديقِ غيرُ قبيحِ

---

(١) سورة هود ١١ / ٤٦ .
(٢) في الأصل : (وظهار) .
(٣) في الأصل : (وكونك) .

[هَجرُ استبقاء الوُدِّ]

ومِنْها أَلّا يَهْجُرَ الأَخَ هَجْرَ بِغْضَةٍ بل هَجْرَ استبقاء لوُدِّهِ وقَطْعِ مقالةِ واشٍ عنهُ ؛ فقد ورَدَ مِن طريقٍ عن النبيِّ ، ﷺ ، أنّه قالَ : « لا يَحِلُّ لمسلمٍ أَنْ يهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ ، يلتقيانِ فيُعرِضُ هذا ، ويُعرِضُ هذا ، وخيرُهُما الذي يبدأُ بالسّلامِ » .

[التّوَدّدُ والصّفحُ]

ومِنْها التودُّدُ للإخوانِ بالاصْطِناعِ [١] إليهمْ والصّفحِ عنهمْ ؛ (ق١٦/ظ) وقالَ ، عليه السّلامُ : « اصنعِ المعروفَ إلى مَنْ هو أَهلُهُ / ، فإنْ لم تُصِبْ أهلَهُ فأنتَ أهلُهُ » ، وقالَ ، عليهِ السّلامُ : « رأسُ العَقْلِ بعدَ الدِّينِ التّودُّدُ إلى النّاسِ واصطناعُ المعروفِ إلى كلِّ بَرٍّ وفاجرٍ » ؛ ويُنشَدُ لابنِ أبي النّجمِ :

اصنعِ الخيرَ ما استطعْتَ ، وإنْ ... كنتَ لا تُحيطُ بكُلِّهْ
فمتى تصنَعُ الكثيرَ إذا ... كُنتَ تاركاً لأَقلِّهْ

---

(١) الاصطناع على صيغة افتعال وهي من الصنيعة بمعنى العطية والكرامة والإحسان ، ومن ذلك قولنا : صنع إليه عُرفاً صنعاً واصطنعه ، كلاهما : أي قدمه .

[حِفظُ العَهدِ]

ومِنها الدَّوامُ للإخوانِ على حُسنِ العِشرةِ ، وإنْ وَقعَتْ بينَهم وَحشَةٌ أو نَفرَةٌ ، فلا يَترُكُ[1] كرمَ العهدِ ، ولا يُفشي الأسرارَ المعلومةَ في أيّامِ الأُخوّةِ . ويُنشدُ لبعضِهِمْ :

نَصِلُ[2] الصَّديقَ إذا أرادَ وِصالَنا ... ونَصُدُّ عندَ صدودِهِ أحيانا

إنْ صدَّ عنّي كنتُ أكرمَ مُعرِضٍ ... ووَجدتُ عنهُ مَذهباً ومكانا

لا مُفشِياً بَعدَ القَطيعةِ سِرَّهُ ... بل كاتمٌ مِنْ ذاكَ ما اسْتَرعانا

إنَّ الكريمَ إذا تَقطَّعَ وُدُّهُ ... كَتمَ القَبيحَ وأظهرَ الإحسانا

[التغافلُ]

ومِنها التغافُلُ عن الإخوانِ . قال جعفرُ بنُ محمّدٍ الصّادقُ[3] : « عظِّموا أقدارَكم بالتّغافُلِ » .

---

(١) في الأصل : (ولا) .

(٢) في الأصل : (فصيل) ، وهذا تصحيف من الناسخ .

(٣) الإمام الصادق جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان يلقب بالصابر والفاضل والطاهر ، وأشهر ألقابه الصادق ، توفي سنة ١٤٨ هـ (ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨) .

[تركُ الوقيعـةِ]

ومِنْها تَرْكُ الوَقيعةِ فيهِمْ . قال المُهاجريُّ : « قالَ أعرابيٌّ لرجلٍ : قد استدلَلْتُ على عيوبِكَ بكثرةِ ذكرِكَ لعيوبِ النّاسِ ، لأنَّ طالبَها مُتّهمٌ بقدرِ ما فيه منها » .

[قبولُ الاعتذارِ]

ومِنْها قبولُ العُذرِ مِنْ فاعِلِهِ ، صَدَقَ أو كَذَبَ ؛ لقولِ رسولِ اللهِ ، ﷺ : « مَن اعتذرَ إليهِ أخوهُ المسلمُ ، فلم يقبلْ عذرَهُ ، فعليهِ مثلُ صاحبِ مَكْسٍ (١) » . ولبعضِهِمْ .

اقبلْ معاذيرَ مَنْ يأتيكَ مُعتذِراً إنْ يروِ عندَكَ فيما قالَ أو فَجَرا
فقد أطاعَكَ مَنْ أرضاكَ ظاهرُهُ وقد أجلَّكَ مَنْ يَعْصيكَ مُسْتَتِرا

(ق١٧/و) قالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : « المؤمنُ طالبٌ عُذْرَ إخوانِهِ ، والمنافقُ طالبٌ عثراتِهِم » .

---

(١) المكس في الأصل دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية ، والماكس العشّار ، ويقال للعشار : صاحب المكس ، وفي الحديث النبوي الشريف : « لايدخل صاحب مكس الجنة » .

[قضاءُ حوائجِ الإخوانِ]

ومِنْها التّسارُعُ إلى قضاء حاجةِ رافعِها إليكَ ، لقولِ جَعْفَرٍ الصّادقِ : « إنّي لأُسارعُ إلى قضاء حوائجِ[1] الإخوانِ مخافَةَ أنْ يستغنوا عنّي بِرَدِّي إيّاهمْ » . وقال ابنُ المُنْكَدِرِ : « لم يبق مِن اللهِ إلّا قضاءُ حوائجِ الإخوانِ » .

[مشاهدَةُ الإخوانِ]

ومِنْها ألّا يُنسيَكَ بُعْدُ الدارِ كَرَمَ العَهْدِ والنزوعَ إلى مشاهدةِ الإخوانِ . قال ابنُ الأنباريِّ : « مِنْ كَرَمِ الرّجلِ حنينُهُ إلى أوطانِهِ ، وشوقُهُ[2] إلى إخوانِهِ » .

---

(١) في المعاجم العربية أن (حوائج) جمع غير قياسي ، أو مولدة ، أو كأنهم جمعوا حائجة . وكان الأصمعي ينكره ويقول : هو مولّد ، وقال الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس . قال ابن بري : هذا خطأ ، فقد سمع في الأحاديث الصحيحة والأشعار والفصيحة .

(٢) في الأصل : (وسوقه) .

[صونُ السمعِ واللِّسانِ]

ومِنْها صَوْنُ السّمعِ عن سماعِ القبيح ، واللِّسانِ عن نُطقِهِ ؛ فقد قالَ ، عليهِ السّلامْ : « يقولُ اللهُ ، عزَّ وجلَّ : أينَ الذينَ كانوا يُنزّهونَ[1] أسماعَهمْ عن الخَنا أُسْمِعْهُمْ اليومَ حمدي والثناءَ عليّ » .

ولبعضِهِمْ :

تَحرَّ مِنَ الطُّرْقِ أوساطَهـا ... وخَلِّ عن المَوْضعِ المُشْتَبِهْ
وسمعكَ صُنْ عن سماعِ القبيحِ ... كصَوْنِ اللِّسانِ عن النُّطقِ بهْ
فإنّكَ ، عِنْدَ استماعِ القَبيحِ ... شريكٌ لقـائِلِهِ ، فانْتَبِهْ
فكَمْ أزعجَ الحِرْصُ مِن طالب ... فوافى المنيّـةَ في مطلبِهْ

[ردُّ الجوابِ]

ومنها المُبادرةُ في الجوابِ عن كتابِ الأخ ، وتَرْكُ التّقصيرِ فيهِ . قالَ ابنُ عبّاسٍ ، رضيَ اللهُ عنهُ : « إنّي أرى لردِّ الجوابِ حقاً ، كما أرى لردِّ جوابِ السّلامِ » .

---

(١) نزّه نفسه عن القبيح نحّاها ، ومنه قيل : فلان يتنزّه عن الأقذار وينزّه نفسه عنها أي يباعدها .

وأنْشَدَ لأبي هَفّانَ (١) :

إذا الإخوانُ فاتَهُمُ التّلاقي ... فما شيءٌ أسرُّ مِنَ الكتاب
وإنْ كتبَ الصّديقُ إلى صديقٍ ... [فَحَقٌّ] (٢) كتابهِ ردُّ الجَوابِ

[أدبُ الاستئذانِ]

ومِنْها الأدبُ في الاستئذانِ / واستعمالُ السُّنّةِ فيه ؛ لقول (ق١٧/ظ) النبيّ ، ﷺ : « الاستئذانُ ثلاثٌ : الأولى تَسْتَنْصتونَ (٣) ، والثّانيةُ يستصلحونَ ، والثّالثةُ يأذنونَ أو يردُّونَ » .

---

(١) في الأصل : (أبو هقان) ، والصواب ما أثبتناه ، وهي بكسر الهاء وفتحها مع تشديد الفاء ، وهو أبو هفّان ، عبد الله بن أحمد بن حرب المِهْزَميّ العبدي ، راوية عالم بالشعر والغريب ، وشعره جيد ، إلا أنه مُقلّ ، وهو من شعراء الدولة الهاشمية . (أبو عبيد البكري : سمط اللآلي ص ٣٣٥ ، وتاريخ بغداد ، ج ٧ ص ٣٩٠) .

(٢) زيادة غير موجودة أسقطها الناسخ ، وقد اقتضاها ضبط الوزن وسياق البيت ، كما رجحناها .

(٣) تستنصتون : استنصت أي طلب أن ينصت .

[إفطارُ المدعوِّ]

ومِنها ألاّ يصومَ إذا دعاهُ أخٌ إلّا بإذنِه ؛ وإنْ نوى الصّومَ فليُفْطِرْ[1] تحرّياً لسرورهِ ؛ فإنّ أبا سعيدٍ الخدريّ ، رضيَ اللهُ عنهُ ، قال : « صنعتُ لرسولِ اللهِ ، ﷺ ، طعاماً ، فجاء هو وأصحابُهُ ، فلمّا وُضِعَ الطّعامُ ، قالَ رجلٌ مِن القومِ : إنّي صائمٌ ، فقالَ رسولُ اللهِ ، ﷺ : دعاكمْ أخوكمْ ، وتكلّفَ لكمْ ، أفطِرْ ثم صُمْ يوماً مكانَه إنْ شئتَ » .

[تفقّدُ الخلانِ والإخوانِ]

ومِنْها الرّغبةُ في زيارةِ الإخوانِ والسؤالِ عن أحوالِهمْ ؛ فقد قال النبيُّ ، ﷺ : « إنّ رجلاً زارَ أخاهُ في قريةٍ ، فأرْصَدَ[2] على مَدْرَجَتِهِ[3] مَلَكاً ، فقالَ لهُ : إلى أينَ يا عبدَ اللهِ ؟ فقالَ :

---

(١) في الأصل : (أن يفطر) .

(٢) أرصد : يقال أرصد الرقيب أي أقامه يرصد له الطريق .

(٣) المدرجة : وهي المواضع التي يدرج فيها أي يمشي ، والمدارج الثنايا الغلاظ بين الجبال .

أزورُ أخاً لي في اللهِ تعالى في هذهِ القريةِ ، فقالَ له : طِبْتَ ، وطابَ ممشاكَ ، وتَبَوَّأْتَ مِن الجنَّةِ منزلاً » . وكانَ عبدُ اللهِ بنَ مسعودٍ يقولُ : « كُنّا إذا افْتَقَدْنا[1] الأخَ أتَيْناهُ ، فإنْ كانَ مريضاً كانتْ عيادةً ، وإنْ كانَ مشغولاً كانتْ عوْناً ، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ كانتْ زِيارةً[2] » .

[فَهْمُ نفسيةِ الأصحابِ]

ومِنْها أنْ تُصاحبَ كُلاًّ مِنْ الإخوانِ على قَدْرِ طريقتهِ . قالَ شبيبُ بنُ شَيبةَ[3] : « لا تُجالسْ أحداً بغيرِ طريقةٍ ، فإنّكَ إذا

(١) في الأصل : (أفقدنا) .

(٢) جاء في الحديث أيضاً أنه ، ﷺ ، قال : « إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن كان مفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً فليصلّ » .

(٣) في الأصل : (شيب) ، وهو شبيب بن شبة بن عبد الله التميمي المنقري الأهتمي ، أبو معمر ، أديب الملوك وجليس الفقراء ، وأخو المساكين من أهل البصرة ، وكان يقال له الخطيب لفصاحته ، وكان شريفاً من الدهاة ينادم خلفاء بني أمية ، ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم . (الزركلي : الأعلام ، ج ٣ ص ٢٢٩) .

أَرَدْتَ لقاءَ الجاهِلِ بالعِلْمِ ، واللاَّهي [1] بالفقهِ ، والغيِّ بالبيانِ ، آذَيْتَ جليسَكَ » . ويُروَى للإمامِ عليٍّ ، رضيَ اللهُ عنهُ :

لَئِنْ كنتُ مُحتاجاً إلى العلمِ إنَّني | إلى الجهلِ في بعضِ الأحايينِ [2] أحوجُ
وما كنتُ أرضَى الجهلَ خِدْناً ولا أخاً [3] | ولكنَّني أرضَى بهِ حينَ [4] أُحْوَجُ
فَمَنْ شاءَ تقويمي ، فإنِّي مُقوَّمٌ | وَمَنْ شاءَ تعويجي ، فإنِّيَ مُعوَّجُ

[حِفْظ العهودِ]

ومِنْها حفظُ حُرُماتِ الصُّحبةِ والعِشْرةِ . قالَ جعفرٌ الصّادقُ ، رضيَ اللهُ عنهُ : « مودَّةُ يومٍ صِلةٌ ، ومودَّةُ سَنَةٍ رَحِمٌ ماسَّةٌ [5] ، مَنْ قطعها قَطَعَهُ اللهُ ، عزَّ وجلَّ » ؛ وقالَ عليُّ بنُ عُبيدِ الرَّيحانيُّ :

---

(١) في الأصل : (اللاهي) .

(٢) في الأصل : (الأحانين) .

(٣) الخدن بالكسر والخدين أي الصاحب ومن يخادنك في كل أمر ظاهر وباطن .

(٤) في الأصل : (خير) .

(٥) ماسة : يقال بينهم رحم ماسّة أي قرابة قريبة ، وقد مست بك رحم فلان .

« الأحرارُ ما لم يَلتَقُوا معارفُ ، فإذا التقَوا صارُوا إخواناً ، فإذا تَعاشرُوا توارثُوا » ؛ وقالَ الصَّادِقُ(١) : « صداقةُ عشرينَ يوماً قرابةٌ » .

[مُواساةُ الإخوانِ]

ومِنْها إنصافُ الإخوانِ مِن نفسِهِ ، ومواساتُهمْ مِنْ مالِهِ ؛ لقولِ النبيِّ ، ﷺ : «أشرفُ الأعمالِ ذكرُ اللهِ تعالى ، وإنصافُ المؤمنِ مِنْ نفسِهِ ، ومواساةُ الأخِ مِنْ مالِهِ » .

[الصَّبرُ على الهجرانِ]

ومِنها الصَّبرُ على جفاءِ الإخوانِ ، وإسقاطُ التُّهمةِ عنهمْ بعدَ صِحّةِ الأُخوّةِ .

[وصيّةُ عَلْقَمةَ لابنِهِ]

ومِن جامعِ الصُّحبةِ والعِشْرةِ قولُ يحيى بنِ أكثمَ(٢) لمّا حَضَرتْ

---

(١) أي الإمام جعفر الصادق السابق ذكره .

(٢) في الأصل : (أكتم) .

عَلقَمَةَ العطّارَ الوَفاةُ ، قالَ لابنِهِ : « يا بُنيَّ إذا صحِبْتَ الرِّجالَ ، فاصْحَبْ مَنْ إذا أخدَمْتَهُ صانَكَ ، وإنْ صحِبتَهُ زانَكَ ، وإنْ تحرَّكتْ بِكَ مُؤنةٌ صانَكَ ، وإنْ أمْدَدْتَ[1] بخيرٍ مدَّ ، وإنْ رأى مِنْكَ حسنةً عدَّها ، أو سيّئةً ستَرَها ، وإنْ أمْسَكْتَ[2] ابتدأكَ ، أو نزَلَتْ بكَ[3] نازلةٌ واساكَ ، وإنْ قُلْتَ صَدَّقكَ ، أو حاولتَ أمراً أمَّرَكَ ، وإذا تنازعتُما في حــقٍّ آثرَكَ » . قالَ عبدُ الملكِ : « سَمِعَ الشَّعبيُّ[4] هذهِ الوصيّةَ / فقالَ : تدري لِمَ (ق١٨/ظ) أوْصاهُ بها ؟ فقُلتُ : لا ! قال : لأنّه أوصاهُ ألاَّ يصحبَ أحداً ، لأنَّ هذه الخِصالِ لم تَكْمُلْ في أحدٍ » .

---

(١) في الأصل : (وإذا مددت) .

(٢) في الأصل : (مسكت) ، والصواب ما أثبت ، أي كف عنه واحتبس .

(٣) في الأصل (به) ، ولا يستقيم بها المعنى .

(٤) هو أبو عمرو ، عامر بن شراحيل الشعبي ، وكان علامــة أهل الكوفة في زمانه . ولد في خلافة عمر بن الخطاب ، وروى عن علي يسيراً وعن المغيرة بن شعبة ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وغيرهم . وكان زوج أخت الشاعر أعشى همدان ، وكان الأعشى زوج أخته أيضاً ، افتخر الشعبي بأنه وجد الحديث عارياً فكساه من غير أن يزيد فيه حرفاً . توفي سنة ١٠٤ هـ (ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٥٢) .

[التوقير والرحمة]

ومِنْها تعظيمُ حُرْمةِ المشايخِ ، والرّحمةُ والشّفقةُ على الإخوانِ ، لقولِ النبيِّ ، ﷺ « [ليس منا] [1] مَنْ لم يُوَقِّرْ كبيرَنا ويَرْحمْ صغيرَنا » . وقالَ ، عليه السَّلامُ : « مِنْ إجلالِ اللهِ تعالى إكرامُ ذي الشَّيبةِ في الإسلامِ » .

[أدبُ الأحداث]

ومِنْها ألّا يُكلِّمَ الأحداثَ بحَضْرةِ الشُّيوخِ . قالَ جابرٌ : « قَدِمَ وفدُ جهينةَ على النبيِّ ، ﷺ ، فقامَ [2] غلامٌ ليتكلَّمَ ، فقالَ النبيُّ ، ﷺ : « وأينَ الكُبراءُ ؟ » .

---

(١) زيادة يقتضيها نص الحديث الشريف . رواه الحاكم عن عبد الله بن عمر : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا » وعن عبادة : « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » . وعن واثلة : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويجل كبيرنا » . (الترغيب والترهيب ج ١ ص ٦٦) .

(٢) في الأصل : (فقال) .

ومِنها أنَّ الإنسانَ إذا أرادَ سفراً [وجبَ عليه أنْ][1] يُسلِّمَ على إخوانِهِ ويزورَهُمْ ، فلعلَّ لأحدِهِمْ حاجةً في وِجْهَتِهِ ، لقولِ النبيِّ ، ﷺ : « إذا سافَرَ أحدُكُمْ فليُسَلِّمْ على إخوانِهِ ، فإنَّهمْ يزيدونَهُ بدعائهمْ إلى دعائِهِ خيراً » .

[دوامُ العهودِ]

ومِنْها ألّا يَتَغَيَّرَ عن إخوانِهِ[2] إذا حدَثَ له غِنىً . أنشدَ المُبرِّدُ :

لَئِنْ كانتِ الدُّنيا أنالتْكَ ثروةً ... وأصبحْتَ منها، بعدَ عُسْرٍ ، أخا يُسْرِ

لقد كَشَفَ الإثراءُ عنكَ خلائقاً ... مِنَ اللؤمِ كانتْ تحتَ سِترٍ مِنَ الفَقْرِ

[التمادي في الخِصام]

ومِنها ألّا يُغْرِقَ في الخُصومةِ ، ويتركَ للصُّلحِ موضعاً ؛ فقد رُويَ عن النبيِّ ، ﷺ ، أو علي ، كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : « أَحْبِبْ

(١) زيادة غير موجودة في الأصل اقتضاها سياق الكلام .

(٢) في الأصل : (لإخوانه) وتغير عن حاله : تحوّل .

حبيبَك هَوْناً[1] ما ، عسى أنْ يكونَ بغيضَكَ يوماً ما ، وابغضْ بغيضَكَ هوْناً ما[2] ،عسى أن يكونَ حبيبَكَ يوماً ما »[3].

قيلَ لأبي سفيانَ بنِ حربٍ : « بِمَ نِلْتَ هذا الشَّرفَ؟ قالَ : ماخاصمتُ رجلاً إلّا جعلْتُ للصُّلحِ بينَنا موضعاً » .

[معرفةُ أقدارِ الرِّجالِ]

ومِنها / معرفةُ الرِّجالِ ومعاشرتُهمْ على حَسَبِ ما يَستحقونَهُ ، (ق١٩/و) فقد قيلَ : إنَّ فتىً جاء إلى سُفيانَ[4] بنِ عُيَيْنَةَ مِن خلفِهِ فَجذَبَهُ ، وقال : يا سُفيانُ ،حدِّثْني فالتفتَ سفيانُ إليهِ ، وقالَ : يا بُنيَّ ، مَنْ جَهِلَ أقدارَ الرِّجالِ ، فهو بنفسِهِ أجهلُ .

[مخالفُ الاعتقادِ]

ومِنها ألّا يُعاشرَ مَنْ يُخالِفُهُ في اعتقادِهِ . قال يحيى بنُ معاذٍ[5] : « مَنْ خالَفَ عَقْدُكَ عَقْدَهُ خالفَ قلبُكَ قلبَهُ » .

---

(١) في الأصل : (يوماً) .

(٢) في الأصل : (يوماً) .

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج ١ ص ١٧٦ .

(٤) في الأصل : (سفين) .

(٥) في الأصل : (معاد) .

[ذو الودّ القديمِ]

ومِنها معرفةُ حقِّ مَنْ سَبقَكَ بالمودّةِ . قال بِلالُ بنُ سعيدٍ : « مَنْ سَبقَكَ بالودِّ ، فقد استرقّكَ بالشُّكرِ » .

[الإخـاء والثّناء]

ومِنْها تَرْكُ التطريةِ [1] والثّنـاء بعدَ صِحّةِ الأُخوّةِ والمودّةِ . قالَ عبدُ الرحمنِ بنُ مهدي : « إذا تأكّدَ الإخاء سَقَطَ الثّناءُ » ، وقالَ الحجبيُّ لرجلٍ : « حُبّي لكَ يمنعُ مِنَ الثّناء عليكَ » .

---

(١) الإطراء في اللغة مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه ، وقد استخدم العرب فعل (أطرى) أي زاد في الثناء ، أما فعل (طرّى) فلم يستخدم إلا للطيب إذا فتق بأخلاط وخلص ، وكذلك للطعام وغيره .

آداب الصحبة

قالَ السُّلَمِيُّ[1] : «والصُّحبةُ على أوجهٍ ، لكلٍّ آدابٌ ومواجبُ ولوازمُ :

[صُحْبةُ اللهِ]

فمَعَ اللهِ ، سُبْحانَهُ : باتّباعِ أوامِرِهِ ، وتركِ نواهيهِ ، ودوامِ ذِكرِهِ ، ودرسِ كتابِهِ ، ومُراقبةِ أسرارِ العبدِ إنْ يَخْتَلِجْ فيها ما لا يرضاهُ مولاهُ ، والرِّضا بقضائهِ ، والصَّبرِ على بلائهِ ، والرَّحمةِ والشَّفقةِ على خَلْقِهِ[2] .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السُّلميّ النيسابوريّ ، شيخ الشيوخ في زمانه ، وله المصنفات الحسان ، منها (طبقات الصوفية) وهو مخطوط ، توفي سنة ٤١٢ هـ .
(ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٤٥٦) .

(٢) في الأصل : (خله) ولعل صوابها ما أثبت .

[صُحبةُ النبيِّ]

وَمَعَ النبيِّ ، ﷺ : باتِّبـاعِ سُنَّتِهِ ، وتركِ مُخـالفتِهِ فيما دقَّ وَجلَّ[1] .

[صحبةُ الصَّحابةِ وآلِ البيتِ]

وَمَعَ أصحابِهِ وأهلِ بيتِهِ : بالتَّرحُّمِ عليهمْ ، وتقديمِ مَنْ قَدَّمَ ، وحُسنِ القولِ فيهم ، وقبولِ أقوالِهمْ في الأحكامِ والسُّننِ ، لقولِهِ ،عليه السَّلامُ : «أصحابي كالنُّجومِ ، بأيِّهمْ اقتديتمْ اهتديتُمْ » ، وقولِهِ ، عليه السَّلامُ : «إنّي تاركٌ فيكمْ الثَّقلينِ : كتابَ اللهِ ، وعِتْرَتي[2] أهلَ بيتي » .

[صُحبةُ أولياءِ اللهِ]

(ق١٩/ظ) وَمَعَ أولياءِ اللهِ : بالخِدمةِ ، / والاحترامِ لَهُمْ ، وتصديقِهمْ

(١) في الأصل : (وجعل) ولعل صوابها ما أثبت .

(٢) عترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه . وعترة النبي ﷺ عبد المطلب . وفي حديث أبي بكر : «نحن عترة رسول الله وبيضته التي تفقأت عنه» .

فيا يخبرونَ عن أنفسِهِمْ ومشايخِهِمْ ؛ فقد رُوِيَ عن النبي ، ﷺ :
«أنَّ اللهَ ، تعالى ، يقول : مَنْ أهانَ لي وليّاً فقد بارَزَني بالمحاربةِ » .

[صُحبةُ السُّلطانِ]

ومَعَ السُّلطانِ : بالطَّاعةِ في غيرِ معصيةِ اللهِ ، إذْ مُخالفتهُ سُنَّةٌ ، فلا [يدعو] عليهِ[1] فيهما ، بل يدعو[2] له غائباً ، ليُصلِحَهُ اللهُ تعالى ، ويُصلَحَ على يديهِ ؛ وينصحُهُ في جميعِ أُمورِ دينِهِ ، ويصلّي ويُجاهِدُ مَعَهُ ؛ لقولِ النبيِّ ، ﷺ : « الدِّينُ النَّصيحةُ » ، قالوا : « لِمَن يارسولَ اللهِ ؟ » قال : « للهِ ، ولكتابِهِ ، ولرسولِهِ ، ولأئمةِ المسلمينَ ، وعامَّتِهِمْ » .

[صُحبةُ الأهلِ والولدِ]

ومَعَ الأهلِ والولَدِ : بالمداراةِ وسَعَةِ الخُلُقِ والنَّفسِ وتمامِ الشَّفقةِ وتعليمِ الأدبِ والسُّنَّةِ ، وحملِهِمْ على الطَّاعةِ ؛ لقولِهِ تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا قُوا أنفسَكُمْ وأهليكم ناراً ﴾[3] الآيةُ ،

---

(١) في الأصل : (فلا له عليه) .
(٢) في الأصل : (يدعوا) .
(٣) سورة التحريم ٦٦/٦ .

والصّفح عن عثراتهم ، والغضّ عن مساوئهم في غير إثم أو معصية ، لقول النبيّ ، ﷺ : « المرأةُ كالضِّلعِ ، إنْ أقمتَها تكسرْها ، وإنْ [داريتَها] تَعِشْ مِنْها على عِوَجٍ »[1]

[صُحْبةُ الإخوانِ]

ومَعَ الإخوانِ : بدوامِ البِشْرِ ، وبَذْلِ المعروفِ ، ونَشْرِ المحاسنِ ، وسترِ القبائحِ ، واستكبارِ بِرِّهِمْ إيَّاكَ ، واستقلالِ بِرِّكَ إيَّاهُمْ ، وإنْ كَثُرَ ، ومساعدتِهِمْ بالمالِ والنَّفسِ ، ومجانبةِ الحقدِ والحسدِ والبغيِ وما يكرهونَ مِنْ جميعِ الوجوهِ ، وتركِ ما يُعْتَذَرُ مِنْهُ .

---

(١) كذا في الأصل . عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المرأة خلقت من ضلع فان أقمتها كسرتها ، فدارها تعش بها » . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج مافي الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء » .

(الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٧٢) .

[صُحبةُ العُلماءِ]

ومَعَ العُلماءِ : بملازمةِ حُرُماتِهِمْ ، وقبولِ أقوالِهِمْ ، والرُّجوعِ إليهم في المهمّاتِ ، ومعرفةِ المكانِ الذي جَعَلَهُ اللهُ لهمْ مِنْ خلافةِ نبيّهِ ووِراثتِهِ ؛ / لقولِهِ ، عليهِ السّلامُ : « العُلماءُ وَرَثَةُ الأنبياءِ » . (ق٢٠/و)

[صُحبةُ الوالدينِ]

ومَعَ الوالدينِ : بِبِرِّهِما بالخِدْمةِ بالنَّفسِ والمالِ في حياتِهِما ، وإنجازِ وعدِهِما بعدَ وفاتِهِما ، والدُّعاءِ لهما في كلِّ الأوقاتِ ، وإكرامِ أصدقائِهِما ؛ لقولِهِ ، عليهِ السّلامُ : « إنَّ أبرَّ البرِّ أنْ يصلَ الرّجلُ أهلَ وُدِّ أبيهِ » ؛ وقد قالَ رجلٌ لرسولِ اللهِ ، ﷺ : « هل بقيَ عليَّ مِن برِّ والدَيَّ شيءٌ[1] أبرُّهما بهِ بعدَ وفاتِهما ؟ » قالَ : « نعمْ . الصّلاةُ عليهما ، والاستغفارُ لهما ، وإكرامُ صديقِهِما ، وصِلةُ الرّحِمِ

---

(١) في الأصل : (شيئاً) والصواب ما أثبت .

التي لا تُوصلُ إلاّ بِها » . وقالَ ، عليه السّلامُ : « مِن العُقوقِ أنْ يرى أبواكَ رأياً و ترَى غيرَهُ »[١] .

[صُحبةُ الضّيفِ]

ومَعَ الضّيفِ : بالبِشْرِ ، وطلاقةِ الوجهِ ، وطيبِ الحديثِ ، وإظهارِ السُّرورِ ، وقبولِ أَمرِهِ ونهيهِ ، ورؤيةِ فضلِهِ ومنّتِهِ بإكرامِكَ وتحرّيهِ[٢] لطعامِكَ[٣] .

ولمعرّسِ بن كرامٍ :

مَنْ دَعانا فَأَبَيْنا فَلَهُ الفَضْلُ عَلَيْنا
فإذا نَحنُ أتينا رَجَعَ الفَضْلُ إليْنا

(١) يحسن أن نشير في باب صحبة الوالدين إلى أحاديث الرسول عن الدعوة في النسب ، وفي الحديث : (لادعوة في الإسلام) وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته ، وقد كانوا يفعلونه ، فنهى عنه ، وجعل الولد للفراش ، وفي الحديث : « ليس من رجل ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه ، إلا كفر » ، وفي حديث آخر : « فالجنة عليه حرام » ، وفي حديث ثالث : « فعليه لعنة الله » وقد تكررت الأحاديث في ذلك .

(٢) في الأصل : (تحريه) ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) انظر رسالة المؤلف في (آداب المؤاكلة) في الصفحة ٣١ خلال حديثه عن رب المنزل الحامد .

آداب الجوارح

ثم على كلّ جارحةٍ[1] أدبٌ تختصُّ بِهِ :

[أدَبُ البَصَرِ]

فَأَدَبُ البَصَرِ نظرُكَ للأخِ بالمودّةِ التي يعرِفُها مِنكَ ، هو والحاضرونَ ، ناظراً إلى أحسنِ شيءٍ يبدو[2] مِنهُ ، غيرَ صارفٍ بَصَركَ عنهُ في حديثِهِ لَكَ .

[أدَبُ السّمعِ]

وأدَبُ السّمعِ : إظهارُ التّلذُّذِ بحديثِ مُحادِثِكَ ، غيرَ صارفٍ بصرَكَ عنهُ في حديثِهِ ، ولا قاطعٍ له بشيءٍ ؛ فإنْ اضطرّكَ الوقتُ إلى شيءٍ مِنْ ذلكَ ، فأظهِرْ لهُ عذرَكَ .

---

(١) الجارحة : جوارح الإنسان أعضاؤه وعوامل جسده كيديه ورجليه ، وواحدتها جارحة لأنهن يجرحن الخير والشر ، أي يكسبنه .

(٢) في الأصل : (يبدوا) .

[أدَبُ اللّسانِ]

وأدَبُ اللّسانِ : أنْ تُحدِّثَ الإخوانَ بِما يُحِبُّونَ في وقتِ (ق٢٠/ظ) نشاطِهِمْ لسماعِ / ذلكَ ، باذلاً لهمْ النّصيحةَ بِمـا فيهِ صلاحُهُمْ ، مُسْقِطاً مِنْ كلامِكَ ما يكرهونَهُ ؛ ولا ترفعْ صوتَكَ عليهمْ ، ولا تُخاطِبْهُمْ إلاّ بما يفهمونَهُ ويعلمونَهُ .

[أدَبُ اليَدَيْنِ]

وأدَبُ اليَـدَيْنِ : بسطُهما[1] للإخوانِ بالبِرِّ والصِّلةِ ، ولا تقبضْهُما عنهمْ ، ولا عن الإفضالِ عليهِمْ ومعونتِهِمْ فيما يستعينونَ بهِ .

[أدَبُ الرِّجلينِ]

وأدَبُ الرِّجلينِ : أن تُماشيَ إخوانَكَ على حدِّ التّبعِ ، ولا تتقدَّمهمْ ؛ فإنْ قرَّبكَ أحدٌ إليهِ تقرَّبْ بقدْرِ الحاجةِ ، وتَرْجعْ إلى مكانِكَ ؛ ولا تقْعُدَ عن حقوقِ الإخوانِ ثِقَةً بالأُخوَّةِ ، لأنَّ

---

(١) في الأصل : (بسطها) .

الفُضيلَ ، رحمَهُ اللهُ ، قالَ : « تَرْكُ حُقوقِهِمْ مَذَلّةٌ » ، وتقومَ لهمْ إذا أبصَرْتَهمْ مُقبلينَ ، ولا تَقْعُدَ إلاَّ بقُعودِهِمْ ، وتقعدَ حيثُ يُقْعِدونَكَ .

آداب البواطن

[عُنوانُ أدَبِ الباطنِ]

واعْلَمْ ، يا أُخيّ ، وفّقكَ اللهُ للرّغبةِ في أدَبِ الصُّحبةِ ، أنّ أدَبَ الظّاهرِ عنوانُ أدَبِ الباطنِ ، لقول النبي ، ﷺ ، و [قد][1] رأى رجلاً يَمُسُّ لحيتَهُ في الصّلاةِ ، فقالَ : « لو خَشَعَ قلبُ هذا لَخشَعتْ جوارحُهُ » ؛ وقالَ الجُنيدُ لأبي حفْصٍ ، رحمةُ اللهِ عليهما : « أدّبْتَ أصحابَكَ أدَبَ السلاطينِ » ، فقال : « لا ، يا أبا القاسم[2] ، ولكنّ حُسْنَ أدبِ الظاهرِ عنوانُ أدَبِ الباطنِ » .

[اقترانُ الأدبِ بالعلمِ والحالِ والصُّحبةِ]

ثم اعلمْ أنّ كلّ عِلمٍ وحالٍ وصُحْبةٍ خَرَجَ مِنْ غيرِ أدَبٍ

---

(١) زيادة غير موجودة في الأصل ، وهي من سهو الناسخ .

(٢) في الأصل : (يا أبي) ، وأبو القاسم هي كنية الجنيد ، المتصوف المشهور المار ذكره .

غالبِ مردودٌ[1] على أهلِهِ ؛ لقولِهِ ، عليهِ السَّلامُ : « إنَّ اللهَ أدَّبني فأحْسَنَ تأديبي » . وكانَ ، عليهِ السَّلامُ ، يحبُّ معاليَ الأخلاقِ .

[الباطنُ مُطّلعُ اللهِ]

وإذا وَجَبَ على العبدِ مراعاةُ ظاهرِهِ لصُحبةِ الخَلْقِ ، فمراعاةُ باطنِهِ أولىٰ ؛ لأنَّه مُطّلَعُ الرَّبِّ تعالَى .

[أوجهُ مُراعاةِ الباطنِ]

ومُراعاةُ باطنِهِ وآدابِها بملازمةِ : الإخلاصِ / ، والتَّوكُّلِ ، (ق٢١/و) والخوفِ ، والرَّجاءِ ، والرِّضا ، والصَّبرِ ، وسلامةِ الصدرِ ، وحسنِ الطويَّةِ ، والاهتمامِ بذلك في أمرِ المسلمينَ ؛ لقولِهِ ، عليه السَّلامُ : « مَنْ لم يهتمَّ للمسلمينَ فليسَ منهُمْ » .

★ ★ ★

فإذا تأدَّبَ النَّاظرُ في كتابِنا هذا بهذِهِ الآدابِ ، وتأدَّبَ ظاهرُهُ بما ذكرْنا ، رَجوْتُ أن يكونَ منَ الموقنينَ .

---

(١) في الأصل : (فمردود) .

فنسألُ اللهَ ، سبحانَهُ وتعالى ، أنْ يُوفّقَنا للأخلاقِ الجميلةِ ، وأنْ يُسدِّدَنا في أفعالِنا وأقوالِنا وأحوالنا بمنِّهِ وكرَمِهِ ، إنّهُ أكرمُ الأكرمينَ ، وأرحمُ الرّاحمينَ .

والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلّى اللهُ على مَنْ لا نبيَّ بعدَهُ ، مُحَمّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ ، وسَلّمَ .
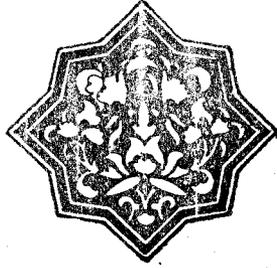
الفهارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

٣ ـ فهرس الشواهد الشعرية

٤ ـ فهرس أسماء الأعلام

٥ ـ فهرس أسماء الأماكن

٦ ـ فهرس محتويات الكتاب

فهرس الآيات القرآنية

(١) رتبت الآيات القرآنية بحسب ترتيب السور المعروف في الكتاب الكريم .

فهرس الاحاديث النبوية

نص الحديث (١)	الصفحة
(أ)	
(أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ) .	٢٦
(أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وابغض بغيضك هوناً ماعسى أن يكون حبيبك يوماً ما) .	٦٧
(إذا سافر أحدكم فليسلم على إخوانه ، فإنهم يزيدونه بدعائهم إلى دعائه خيراً) .	٦٦
(إذا أحببت رجلاً فسله عن اسمه واسم أبيه وجده وعشيرته ومنزله ، فإن مرض عدته ، وإن استعان بك أعنته) .	٢٥
(الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) .	١٢
(أرجح).	٤٧
(الاستئذان ثلاث : الأولى تستنصتون ، والثانية يستصلحون ، والثالثة يأذنون أو يردّون) .	٥٩
(استحيي من الله كما تستحيي رجلاً من صالح قومك) .	١٩

(١) رتبت الأحاديث النبوية بحسب أوائل حروفها دون النظر إلى أصول كلماتها .

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(س)

(ع)

(غ)

(ن)

فهرس الشواهد الشعرية

فهرس أسماء الاعلام

فهرس أسماء الأماكن

فهرس محتويات الكتاب

آداب الصحبة

آداب الجوارح

آداب البواطن

فهارس الكتاب

المستدرك الملحق

استرعى انتباهي بعد فراغي من التحقيق وجود مخطوطة (آداب الصحبة) في دار الكتب الظاهرية لأبي عبد الرحمن السلمي ، المتوفى سنة ٤١٢ ﻫ ؛ ولقد تصفحت الكتاب المذكور لمقارنته بكتاب (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة) المنسوب لأبي البركات بدر الدين الغزي ، وذلك إتماماً للفائدة ، فتبين لي من ذلك ما يلي :

١ — إن كتاب (آداب العشرة) الذي حققناه ليس إلا تلخيصاً جيداً لكتاب السلمي (آداب الصحبة) ، والغريب أن الملخص ذكر اسم المؤلف المذكور « قال السلمي : والصحبة على أوجه لكل آداب ومواجب ولوازم ... »[1] ولقد ورد النص نفسه في الكتاب الأصلي دون عزوه المؤلف على الشكل التالي : « والصحبة على أوجه ... »[2] ، وهذا دليل أكيد على أنه ملخص عنه .

٢ — لوحظ في المقدمة أن الملخص أهمل إسناد الكتاب كاملاً في خطبته ، وإنما بدأ بالحمدلة الأولى ، وأهمل الحمدلة الثانية ؛ فقد جاء في الأسناد المهمل قول السلمي : بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه التوفيق والإعانة . أخبرنا الشيخ الجليل الأصيل المسند شرف الدين أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد

(١) آداب العشرة ، ص ٦٩ .

(٢) آداب الصحبة ، ورقة ٤١/ و

ابن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي أثابه الله الجنة ، قرأه عليه وأنا أسمع في مجلسين ، ثانيها يوم الجمعة ثامن عشري ذي القعدة سنة خمس وتسعين وستمائة بكلاسة جامع دمشق .. »[١] إلى آخر الإسناد المرفوع .

وجـاء أيضاً في الحمدلة الثانية المهملة : « الحمد لله الذي أهلهم لهذه الرتبة السنية ... » [٢] .

٣ — لوحظ بعض التغيير في أسلوب المؤلف والملخص ، فالمؤلف يستخدم قوله : « ومن آداب العشرة » و « من آدابهـا » ؛ أما الملخص فكان يكتفي بقوله : « ومنها » ، يضاف إلى ذلك أنه كان يغير في النص الأصلي وفق أسلوبه الخاص .

٤ — لوحظ أن في الملخص زيادات غير موجودة في النص الأصلي كما اتضح لنا ذلك في حديثه عن صحبة الضيف[٣] .

في النص الأصلي : « والصحبة مع الضيف بحسن البشر ، وطلاقة الوجه ، وطيب الحديث ، وإظهـار السرور والسكون عند أمره ورؤية فضله ، واعتقاد المنة له حيث أكرمك بدخول منزلك وتحرم طعـامك .

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي يقول : وأنشدت للبرقعي :
يسترسل الضيف فيما بيننا كرماً فليس يعرف فينا أينا الضيف »[٤]

وفي النص الملخص : « ومـع الضيف : بالبشر ، وطلاقة الوجـه ،

(١) آداب الصحبة ، ورقة ١ / ظ
(٢) المصدر السابق .
(٣) آداب الصحبة ورقة ٤٢ / و

وطيب الحديث ، وإظهار السرور ، وقبول أمره ونهيه ، ورؤية فضله ومنته بإكرامك ، وتحريه لطعامك . ولمعرّس بن كرام :

من دعانا فأبينا فله الفضل علينا

فاذا نحن أتينا رجع الفضل إلينا »(١)

يبدو لنا على الأرجح أن الغزي لخص كتاب (آداب الصحبة) للسلمي وسماه (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة) ليكون مقدمة لرسالته التي صنفها في (آداب المؤاكلة) وذلك إتماماً لما بدأه السلمي واستدراكاً لما فاته على عادة المتأخرين في التلخيص والاستدراك والتذييل .

وبعد ، فلقد جئت بهذا المستدرك إتماماً للفائدة ، وتوخياً لما يقتضيه البحث العلمي السديد ، والله الموفق ، وبه قصد السبيل .

****

(١) آداب العشرة ، ص ٧٤ .

PUBLICATIONS DE L'ACADÉMIE ARABE DE DAMAS

ADAB AL - ICHRA

BADR AD - DIN AL GAZZI

OMAR MOUSSA PACHA
Docteur es - lettres

DAMAS
1968